السبت 5 كانون الأول 2020
العدد 4216 السنة الخامسة عشرة
Samedi 5 Décembre 2020 n°4216 15ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

جاكلين الشابي
ألغام الدوغمائية

رئيسا حكومة يتجاهلان الانهيار: لا تأليف ولا تصريف [2]

رسائل تهديد أميركيّة إلى عون والحريري [3]

مأرب تطرد الغزاة: صنعاء حصنٌ منيع

[10 ـ 11]

بائتة قوات صنعاء قلب قوسين من إسقاط آخر معاقل التحالف السعودي ــ الإماراتي في الجبهة الشرقية من اليمن، والمتمثّل في مدينة مأرب (أ ف ب)

تقرير

«صناعة» المنظّفات تزدهر **سوائل لا «ترغي» ولا تنظّف!**

7

تقرير

أوروبا تغيّر جلدها: **تعديل الاتفاق النوويّ... لمصلحتنا**

10

تقرير

الكونغرس يفخّخ صفقة «إف 35» لأبو ظبي: **تفوّق إسرائيل... أوّلاً**

10

المشهد السياسي

دياب والحريري يتجاهلان الانهيار: لا تأليف ولا تصريف

مفاوضات تأليف الحكومة مُتوقّفة. رئيس الحكومة المُكلّف ينتظر «كلمة السرّ» الخارجية حتّى يُقدّم تشكيلته، وإلا فلن «يُخاطر» بخسارة منصب رئاسة الحكومة. تصرفات سعد الحريري تنمّ عن لامبالاة تجاه الانهيار الذي يُصيب البلد، وواجب تأليف حكومة تتخذ قرارات تحمي الفئات الشعبية. واللوم يقع أيضاً على حسّان دياب، مع اختلاف درجة المسؤولية، الذي تتطلب منه «حالة الطوارئ» العامة أن يُفعّل حكومة تصريف الأعمال

19 يوماً مضت على آخر زيارة قام بها الرئيس المُكلّف تأليف الحكومة، سعد الحريري، لقصر بعبدا، قبل أن يمنح المسؤولون في البلد أنفسهم «عطلة الثلج». مفاوضات التأليف مُتوقفة بطريقة توحي وكأنّ «المستقبل» أمامهم ولهم، بما يسمح لهم بالتراخي في بتّ مسألة حسّاسة وأساسية لمحاولة فرملة الانهيار. سعد الحريري لم يعد يستعجل تأليف الحكومة، بعدما كان يُراهن على

> **يخاف دياب أن يؤدي به أي قرار خارج «تصنيف الأعمال» إلى السجن من دون أن يُدافع عنه أحد**

> **يُراهن الحريري على أن تحمل زيارة ماكرون للبنان هذا الشهر طروحات جديدة**

أن لا تستفرغ التسمية والتشكيل أكثر من أيام قليلة. يتذرّع المُقرّبون منه بأنّ زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون للبنان هذا الشهر «ستتضمّن طروحات جديدة». في ذلك، أولاً، تفاؤل مُبالغ به أن تحمل زيارة ماكرون مفتاح الحلّ، فيما «الفيتو» الحقيقي تفرضه الولايات المتحدة الأميركية والسعودية والإمارات؛ وثانياً، «اعتراف» بأنّ العقدة خارجية ولا تُحلّ إلا بتدخّل القوى الغربية. فالحريري يُحاول بشكل دائم الفصل بين عدم القدرة على تأليف الحكومة والضغوط

(هيثم الموسوي)

الإقليمية ــ الدولية، وتصويرها مُجرّد خلاف بين «أولاد الحي» حول كيفية توزيع لاعبي كرة القدم في الفريق المحلي. كلام المقرّبين منه ينفي ذلك، معطوفاً على التهديدات والمواقف العلنية التي يُطلقها المسؤولون الأميركيون والسعوديون، إضافة إلى الأداء الإماراتي، بأنّ أي حكومة تضمّ ممثلين عن حزب الله ــ بشكل مباشر أو غير مباشر ــ ستؤدّي إلى انهيار لبنان على رؤوس كلّ سكّانه. فهذه القوى التي كانت تُصوّر نفسها على أنّها «راعية وصديقة» لبنان، باتت تستخدم شعبه ومؤسساته «رهينة» عدائها مع حزب الله، حتى تُجبره على التنازل. والتنازل في عُرفهم لا يعني «كفّ شرّهم» عن البلد، بل «الطمع» أكثر فأكثر وفرض المزيد من الشروط واستمرار عملية الابتزاز حتى تأمين مصالحهم وأمن «إسرائيل» في المنطقة. بالإضافة إلى أنّ من السذاجة الاعتقاد والتسويق أنّ دولة ضعيفة مثل الدولة اللبنانية، منزوعة السلطة والسيادة، ستتمكّن من إنتاج حكومة جديدة بطريقة «مُستقلة» ومعزولة عن التطورات الإقليمية والدولية.

لا شيء يمنع الحريري من تقديم تشكيلة حكومية إلى رئيس الجمهورية إلا إدراكه أنّ تأليف الحكومة اللبنانية مضبوط على إيقاع الإدارة الأميركية برئاسة دونالد ترامب، التي تُمضي أسابيعها الأخيرة في الحُكم، لكنها تتصرّف كما لو أنّها في الفصل الأول من ولايتها. تصعيد ضدّ إيران والصين، تهديدات عسكرية، تسريع في توقيع اتفاقيات الشراكة الإسرائيلية ـ الخليجية، التحضير لانقلابات جديدة في أميركا اللاتينية... ولبنان لا يغيب عن هذه «الأجندة العدائية». فليس صحيحاً أنّه «هامشي» بالنسبة إلى الإدارة الأميركية، وأهميته تكمن فقط في كونه جزءاً من الملفّ الأكبر المُسمّى «تطويع إيران»، فواشنطن باتت تتعامل مع حزب الله كقوّة قائمة بذاتها، تعاظمت قدراتها القتالية بما بات يُشكّل قلقاً وجودياً لـ«إسرائيل». في السياق ذاته، تندرج ضغوط السعودية والإمارات، رُعاة الحريري (السابقون)، على لبنان. فهزيمة حزب الله هي أولوية هذه الدول. وفي طريقهم نحو «تحقيق» هدفهم، لا يُمانع السعوديون والإماراتيون إنزال العقاب الأقسى بحقّ اللبنانيين. ارتفعت حدّة المعركة، بعد توقيع اتفاقيات الشراكة الاستراتيجية بين الإمارات والبحرين و«إسرائيل»، بمُباركة السعودية.

في مواجهة المشهد الإقليمي والدولي الخطير، يمرّ لبنان بواحدة من أسوأ أزماته المالية والنقدية، «فَدَر» له أن يخوضها بحكومة مُستقيلة حتى من ممارسة تصريف الأعمال بمعناه الضيّق، ورئيس حكومة مُكلّف يخاف اتخاذ أي قرار لا غطاء دولياً له، و«حزب مصرف» يُريد السطو على ما تبقّى من ممتلكات الدولة بعدما سرق أموال المودعين وتراكم أرباحاً طائلة من الأموال العامة، وتُجار ومُحتكرين يستغلّون الأزمة ليبنوا فوقها قصورهم، وشعب بات أكثر من نصفه تحت خطّ الفقر ويُهدّد اليوم بوقف الدعم عن السلع الرئيسية من دون إيجاد بديل.

تقرير

تحقيق في اختلاس في الأمن العام

بدأ الأمن العام تحقيقًا منذ نحو أسبوعين في عملية اختلاس يُشتبه بتورط عناصر وضباط فيها، فأوقف رتيبين مشتبه في تورطهما في اختلاس رسوم جوازات السفر وسمات الإقامة. وعلمت «الأخبار» أنّ أحد المشتبه فيهما يعمل في دائرة «العرب والأجانب» والآخر في شعبة «العلاقات العامة».

أمّا حجم المبالغ المختلسة فلم يحدّد بعد، إلّا أنّ هناك تقديرًا بأنّها ربما تصل إلى مليارات الليرات، علماً بأنّ التحقيق يتركز لتحديد الثغرات التي سمحت بذلك. ويجري التحقيق لتحديد تاريخ بدء هذين العنصرين وغيرهما بسرقة الأموال التي ترجح المعلومات أن تكون قد بدأت منذ عدّة سنوات. وإلى اليوم، جرى استجواب عدد من العناصر والضباط المرتبطين بشبكة الفساد، علمًا بأنّ واحدًا من هؤلاء رتيب متقاعد.

وفي اتصال مع المدير العام للأمن العام اللّواء عباس إبراهيم، أكدّ لـ«الأخبار» أنّ المديرية فتحت تحقيقاً بإشراف القضاء المختص، مشيراً إلى أنه لا يمكن الكشف عن أي معلومة عن التحقيق قبل انتهاء التحقيق وتبيان الملابسات كما جرت العادة، متحدّثاً عن بيان سيصدر بعد انتهاء التحقيق وإحالة المشتبه فيهم إلى القضاء.

وكان النائب جميل السيد قد تحدث عن وجود عملية اختلاس بقيمة 14 مليار ليرة من قبل شبكة فساد في الأمن العام كانت تعمل على استيفاء الرسوم وضبطها منذ عام 2014.

وقد أصدرت المديرية العامة للأمن العام بياناً ردّا على ما أورده السيّد، موضحةً أن «تحقيقًا يجري منذ عشرة أيام مع عسكريين يُشتبه في قيامهم بعمليات اختلاس وأن التحقيق يتم بسرية تامة بإشراف القضاء المختص لتحديد المتورطين وقيمة المبالغ المختلسة في حال وجودها. وتمنّت المديرية عدم التداول بهذا الملف ضمانًا لسرية التحقيق، وصولًا إلى النتائج المتوخاة».

(الأخبار)

في الواجهة

رسائل تهديد أميركيّة إلى عون والحريري

ثقة رئيسان عاطلان عن العمل: رئيس حكومة تصريف أعمال هو حسان دياب متفرّجاً على الانهيار، ورئيس مكلّف يخاف أن يؤلف حكومته هو سعد الحريري. الأول لا يدعو حكومته إلى الاجتماع لأن النصّ أقوى من الكارثة، والثاني يعتقد أنه غير المستفتَى عنه

نقولا ناصيف

ليس جديداً منذ اتفاق الطائف أن يكون الرئيس المكلف هو غير رئيس حكومة تصريف الأعمال. الحالات الأوفر في هذا الطراز من تعاقب السلطة بينهما، توالي ثمانية رؤساء حكومة منذ عام 1990 تعايش فيها الرئيس المستقيل مع الرئيس المكلف. بينهم مَن خبر التجربة ثلاث مرات كسعد الحريري، ومرتين كسليم الحص وعمر كرامي ورفيق الحريري ونجيب ميقاتي، ومرة واحدة كرشيد الصلح وتمام سلام وحسان دياب. ثلاثة رؤساء حكومة جمعوا بين أن يكونوا رؤساء حكومة مستقيلين ورؤساء مكلّفين كالحريري الأب ثلاث مرات، وفؤاد السنيورة والحريري الابن مرة واحدة. على مرّ التجارب تلك باستثناء ما يحدث الآن، لزمت الحكومات المستقيلة النطاق الضيق لتصريف الأعمال، إلا أن الرؤساء المكلفين كانوا يتحركون في أكثر من اتجاه لتأليف الحكومة الجديدة. تفاوتت جهودهم ما بين ثلاثة أيام لتأليفها كما في حكومات الحص (1998) والحريري الأب (2003) وميقاتي (2005) و320 يوماً كما في حكومة سلام (2014). في ظل هذه المواعيد كانت الاشتباكات السياسية في ذروتها منذ عام 2005 ما بين الرئيس المكلف ورئيس الجمهورية، وبينه والكتل النيابية قبل الوصول إلى التنازلات المتبادلة التي تفضي إلى إبصار الحكومة النور. لم يحدث ذلك إبان الحقبة السورية بعدما اعتاد خلالها دمشق على تحديد حصص الأقرباء واقتطاع الحصة الكبرى لها.

ما يجري اليوم صمت غامض يحوط بمغزى تكليف الحريري واستعداده لتأليف حكومته، غير مسبوق في كل حال. كان البلاد ليست في ظل حكومة مستقيلة ورئيس مكلف، وهي على شفير الانهيار: لا الأولى تجتمع، ولا الثاني يستعجل التأليف. ما خلا جلسات المجلس الأعلى للدفاع، لا يلتقي الرئيس ميشال عون بدياب، ولا بالحريري المفترض أنه ورئيس الجمهورية شريكان في تأليف الحكومة ما داما هما الاثنين يوقّعانها وكلاهما ملزم بتوقيع الآخر. إبان زيارة الموفد الفرنسي الخاص باتريك دوريل إلى بيروت أواخر الشهر المنصرم، أثار اهتمامه تبعاً لما سمعه منه الذين التقوه، أنه لا يعثر على تفسير لعدم حصول اجتماعات بين عون والحريري لاستعجال تأليف الحكومة. رغب أمام هؤلاء في أن يفعلا قبل الوصول إلى مؤتمر المساعدات الإنسانية للبنان في 2 كانون الأول. بيد أن أحداً لم يصغِ إليه. القطيعة كاملة تقريباً بين عون ودياب، وكثيرون ممن عملوا على خطهما يشيرون إلى تنافر شخصي فلم ينشأ بينهما ود طوال الأشهر الـ11 المنصرمة في عمر حكومتهما. وحده مجلس الوزراء والمجلس الأعلى للدفاع يجمعهما.

كذلك حال عون والحريري لأسباب مختلفة، أقرب ما تكون إلى عضّ أصابع منها إلى خلافات على تأليف حكومة. لا يحمل الرئيس المكلف إلى قصر بعبدا إلا الأفكار التي يعرف سلفاً أن رئيس الجمهورية سيرفضها. بدوره الرئيس صار أكثر تشدّداً في السنة ما قبل الأخيرة من الولاية وهو يجد العهد محاطاً بأوسع مروحة من الخصومات انضم إليها الحريري أخيراً. بل يبدو أضعف بكثير من يوم انتخابه الذي لم يحظ كمعظم أسلافه الرؤساء بأفضل تأييد لانتخابه. عندما يُسجّل انتخابه في الدورة الرابعة من الاقتراع - وهذا لم يحصل لرئيس قبلاً - في جلسة عمد فيها بعض النواب إلى التهريج للإساءة إلى الرجل، فيما عارضه آخرون وصوّتوا ضده بمفاتيح غير مالوفة وبعضها غير لائق، خرج من هذه السابقة قوياً في مطلع الولاية.

ما بات عليه العهد الآن، إشعار الرئيس بأنه ضعيف تحت وطأة الضغوط الخارجية عليه، وخصوصاً بعد العقوبات الأميركية على النائب جبران باسيل، وتسارع انهيار الدولة من حوله، فيما يبدو مدعواً إلى التعاون مع رئيس مكلف بدوره خائف من نفسه ومن المحيطين به أقربين وأبعدين. وفقاً لما ترويه شخصية لبنانية مقرّة كشف لها مساعد وزير الخارجية الأميركية للشؤون السياسية دافيد هيل حينما زار بيروت واجتمع بعون، أنه نقل إليه رسالة أميركية حادة وخطيرة في مناسبة خوضهما في سبل معالجة انهيار الاقتصاد والعملة الوطنية. بلهجة تهديد واضحة غير لبقة أو مألوفة في التخاطب، قال هيل للرئيس وفق ما أخبر الشخصية تلك: رياض سلامة يبقى في منصبه ولا يُقال؛ وعقّب هيل: من سيُبعد سلامة سيلحق به.

ليست الرسائل الأميركية الموازية

> **الحريري لن يزور قصر بعبدا بلا مسودة حكومة**

للحريري أقل وطأة: توزير حزب الله في الحكومة الجديدة تحت أي صورة سيؤدي إلى فرض عقوبات، تبدأ بالقريبين منه ولا تتوقف عنده. في أحسن الأحوال يصح في الحريري أنه مرعوب مقدار ما يبدو محتجباً لدوافع لم تعد في السرد السياسي المعروف والمتكرر يومياً، وهو أنه هو الذي يؤلف حكومته، مع ذلك، يدافع عن اعتكافه المبرّر لديه لتأخير بت تأليف الحكومة إلى أمد غير معروف تبعاً لذرائع منها: - لا زيارة إلى قصر بعبدا من غير أن يحمل معه مسودة حكومة، ومن غير أن يكون متأكداً من أن رئيس الجمهورية سيوافق عليها كما يريدها الرئيس المكلف فيوقعها له. لكن أيضاً من غير أن يكون واثقاً من أن في إمكانه وضع مسودة تستبعد حزب الله عنها.

- يتصرّف الحريري، المستعجل الوصول إلى السرايا، على أنه متمهل في التأليف إلى أن يصل إلى الحكومة التي يريدها بمواصفاته هو، دونما الأخذ باعتراضات رئيس الجمهورية، حكومته وحده لكن بتوقيع عون. يتجاهل في الظاهر الكتل النيابية، ويعرف في الوقت نفسه أن لا حكومة ما لم يُسترضَ الثنائي الشيعي وفق شروطه في الحصص والحقائب. ليس في وسع الحريري التخلي عن وليد جنبلاط المقبل على التذمر، ولا التصوّر السهل وهو على خلاف مع رئيس الجمهورية والتيار الوطني الحر والقوات اللبنانية وحزب الكتائب أنه قادر على أن يسمي هو الوزراء المسيحيين وإن اختصاصيين أو مستقلين.

- لا يعكس إصرار الحريري على الاحتفاظ بالتكليف أياً تكن الضغوط التي يواجهها أو تعثره في تأليفها، سوى يقينه بأن العهد فشل لأنه تعاون مع سواه الذي هو دياب. فشل كهذا مستمر في ظل رئيس الحكومة المستقيلة من غير أن يتحمّل الحريري - كما يبين لنفسه - مسؤولية الانهيار الذي وصلت إليه البلاد. وصول ولاية عون إلى سنتها الخامسة التي تمثّل في الغالب أول جرس لانطلاق معركة رئاسة الجمهورية، يضع بين أيدي الحريري ما يعدّه أوراقاً رابحة وقوية كرئيس مكلف لا يعتذر، وكزعيم سنّي تحتاج إليه معادلة الاستقرار الداخلي، وكأفضل محاور لبناني مقبول للغرب. على نحو مماثل يحلو لحاكم مصرف لبنان رياض سلامة أن يصوّر نفسه للمرحلة المقبلة بالمواصفات نفسها، بفارق بسيط أنه الماروني الأفضل.

لا زيارة لقصر بعبدا بلا مسودة حكومة (هيثم الموسوي)

تقرير

إلغاء الدعم المدرسي من مدارس الأونروا

فاتن الحاج

أكثر من 220 معلماً سيصرفون في نهاية كانون الأول الجاري، بعدما شطبت إدارة وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا» برنامج الدعم المدرسي المطبّق منذ 12 سنة. الحجة المعلنة هي غياب التمويل، كما يقول مسؤول البرنامج في مخيم عين الحلوة وعضو اتحاد المعلمين حسان السيد. ويشرح مهمات المشروع، وهي تقديم مساعدة تربوية لذوي الاحتياجات الخاصة والصعوبات التعليمية من الأول أساسي حتى الثانوية العامة، وتزويد تلامذة الروضات بمهارات ما قبل التعلم. ومع كورونا، أضيفت مهمات جديدة، منها إعداد نحو 500 فيديو تعليمي لاستخدامها في التعلم من بعد، فضلاً عن القيام بدور المرشد الصحي من مراقبة تنفيذ البروتوكول الصحي الذي وضعته وزارة التربية واليونيسف وقياس حرارة الطلاب ومتابعة جميع الحالات الصحية وذوي الأمراض المزمنة. وبحسب السيد، استطاع البرنامج الذي يواكب مباشرة أكثر من 5 آلاف طالب، ويقدم خدمات التثقيف والتوعية لنحو 25 ألف طالب، أن يقلل من نسب التسرب من مدارس الأونروا. السيد أشار إلى أن الصرف سوف يسبب أزمة اجتماعية وإنسانية؛ فالمعلمون الذين بدأوا متطوعين في البرنامج وباتوا في السنوات الأخيرة يتقاضون نصف راتب مقابل دوام كامل، أصبحوا اليوم في الشارع مع عائلاتهم.

وكان اتحاد المعلمين في لبنان نفّذ اعتصاماً أمس، احتجاجاً على إلغاء البرنامج، ملوّحاً بإقفال المدارس ومحاسبة كل من شارك في إصدار

> **خطر الإصابة بكورونا يزداد لعدم احترام التباعد الاجتماعي في المدارس**

القرار، إذا لم تتراجع الوكالة عنه. على المقلب الآخر، يتابع الاتحاد قضية التعليم الحضوري في زمن كورونا وعدم احترام وكالة الأونروا لمعايير التباعد الاجتماعي في 72 مدرسة تابعة لها في المخيمات والتجمعات الفلسطينية، من صور حتى نهر البارد، كان يجلس 26 تلميذاً في صف مساحته 42 متراً مربعاً، أو في أحسن الأحوال 22 تلميذاً ضمن حيّز لا يتجاوز 48 متراً مربعاً، علماً بأنّ العدد الذي حددته وزارة التربية هو 18 تلميذاً في مساحة لا تقل عن 60 متراً. الاتحاد تواصل مع الخط الساخن في الوزارة لوضعها في أجواء ما يحصل في مدارس الأونروا. وبنتيجة التباعد، استقدمت الوكالة 81 أستاذاً مياوماً جديداً فقط، في حين أن الحاجة، كما تقول مصادر الاتحاد، تتجاوز 140 أستاذاً.

المصادر التي لا تخفي قلقها من تزايد إصابات كورونا، تحدثت عن جانب تربوي لا يقل خطورة، إذ إن هاجس تقليص عدد المعلمين جعل إدارة الأونروا تسند مادة الفيزياء في المرحلة الثانوية مثلاً إلى أستاذ علوم حياة، والتاريخ إلى أستاذ لغة عربية، واللغة العربية إلى أستاذ دين.

تقرير

«القوّات» أوّل الخاسرين في اليسوعيّة: ربحنا!

اليسوعية قوّات» شعار أخر اسقطته الانتخابات الطالبية في كليات جامعة القديس يوسف تماماً. كما سقطت اسطورة «الأشرفية قوات» خلال الانتخابات النيابية الاخيرة. ما حصل يوم اول من امس عرّى «قائد انتفاضة 17 تشرين» سمير جعجع بعد خوضه المعركة منفرداً من دون حلفاء. على هذا الاساس، يسير جعجع نحو رئاسة الجمهورية، معتقداً أن وقوفه وحيداً على راس الجبل سيخدمه متى انقلبت المعادلة الإقليمية

رلى إبراهيم

لم يكن ثمة دليل اقوى واوضح على خسارة الأحزاب في انتخابات الجامعة اليسوعية يوم اول من أمس سوى البيانات والتهنئات بالربح لأنفسهم، فيما كان جلياً أن مرشحي النادي العلماني تحت اسم «طالب» والمرشحين المستقلين، هم من نالوا القسط الأكبر من الأصوات بما يساوي ضعفي الرقم الذي نالته الأحزاب مجتمعة. قد يتحدث البعض عن دلالات لهذا التغيير، وانسحاب تلك النتائج على الانتخابات النيابية، ليخلصوا الى أن السلطة السياسية ستعمد الى تأجيل هذا الاستحقاق حتماً. هذا التحليل غير مسند الى أي حجج علمية أو إحصاء فعلي، فالانتخابات على مستوى كل أطياف الشعب اللبناني أمر مختلف تماماً، حيث تعمد الأحزاب الى التكشير عن انيابها واستحضار كل عدة شغلها وخبراتها، بعكس الأفراد المجتمعين اليوم على مقاعد في كلية، لكن مقاعد البرلمان ربما تفرّقهم حتماً كما حصل منذ عامين. كل ذلك لا يلغي تبدلاً جذرياً في مزاج شرائح من اللبنانيين، ولا سيما بين الطلاب أو بالأحرى طلاب اليسوعية الذين كان جزء كبير منهم يصوّت «قوات»، وخاصة في كليتي الحقوق وإدارة الأعمال. هذا العام، لم يتكرر الأمر بالعصبية السابقة نفسها، فخسرت القوات «معقلَيها» الرئيسيين.

يفترض هنا الإشارة الى أن تحالفاً جمع تيار المستقبل والحزب الاشتراكي والكتائب والقوات العام الفائت، فيما خاضت القوات الانتخابات الحالية بمفردها بعد فضّ رئيس الهيئة التنفيذية في الحزب سمير جعجع كل تحالفاته. لذلك، ينطلق القواتيون مما سبق للحديث عن «ربح»، رغم محاولة «حزب الله وحركة أمل عمداً إثارة النعرات الطائفية والمشكلات لإبعاد القدر الأكبر من مؤيدي القوات اللاحزبيين. وهو ما حصل فعلاً، اذ فضّل من يوصفون بغير المسيّسين انتخاب المستقلين و«طالب» حتى لو أن طروحات هذا الفريق لا تتناسب وأفكارهم. لكن مشهد العراك والتضارب بين أنصار حزب الله وأنصار القوات تسبّب لنا بأذى على مستوى الأصوات التي نزحت مسجّلة اعتراضاً على ما جرى».

> عوّل القواتيّون على شدّ عصب طالبيّ عقب الخلاف مع حزب الله فاتت النتيجة بعكس ما يشتهون

تلامس الرواية القواتية حقيقة ما جرى، ولو بطريقة مجتزأة، لتتناسب ومصلحتها. فالمشكلة الرئيسية لم تكن في العراك نفسه، بل في الحملة التي خاضت القوات الانتخابات على أساسها. يوم 18 تشرين الأول 2019، حمل جعجع الانتفاضة على أكتافه، صارخاً أنه صانعها وعاجنها ورأس حربتها. على هذا الأساس، دعا القواتيين للنزول الى الشارع، فانتشرت مجموعاته في الشفروليه والزوق وجل الديب والأشرفية من دون أن تتمكن من الذوبان بين الناس... والمجموعات المدنية الناشطة. ليس الاختلاف، من النواحي الاقتصادية والسياسية، مع الناشطين مجرد تفصيل، ولا يشبه اختلاف المجموعات بين بعضها البعض وتوافقها على هذا الهامش من حرية التفكير والتعبير. فلا شيء يجمع الحزبي القواتي مع الناشط في المجموعات القديمة وتلك التي نبتت على هامش الانتفاضة. يظهر ذلك جلياً عند كل استحقاق، وكان فاضحاً في انتخابات اليسوعية. خاض القواتيون «ثورتهم» بحملة طائفية استعادت كل شعارات اليمين المتطرف في مرحلة ما بعد الحرب الأهلية؛ علماً بأنهم عابوا على التيار الوطني الحر في السنوات الأخيرة استخدامه لغة خشبية بالية مماثلة. لكن معرفة القوات المسبقة بحساسية وضع طلابها، دفعهم الى إخراج «بشير الجميل» لشدّ عصب الحزبيين وخصوصاً بعد حادثة التضارب بينهم وبين أنصار حزب الله، ظناً منهم أن هذا العراك يصبّ لمصلحتهم. أنبرى شباب معراب يتحدثون عن ضرورة عودة حزب الله الى «كانتونه» وألا يقترب من «كانتوننا» وإلا «سندعسهم». فاتت النتيجة بعكس ما يشتهون، إذ حسم «غير المتلونين» موقفهم نتيجة هذه الشعارات، «لا هم يريدون الساطور ولا اليميني الطائفي مطلق الشرارة»، على ما تقول احدى الطالبات. باختصار، شلح القواتيون ثياب «الثورة» وعادوا الى بزاتهم الزيتية، فيما كان «الكتائب» أكثر ذكاءً بتلطّيه خلف «المستقلين» ثم إعلانه عن الكتائبيين الفائزين بعد فوزهم كمستقلين. وأصلاً كانت هناك صعوبة بتزوير الحقائق بعد خروج النادي العلماني من لواء المستقلين ليبني منصته الخاصة التي سماها «طالب».

في موازاة انكشاف القوات ومأربها والتعامل معها كحزب من أحزاب السلطة الرئيسية، وذلك رهان خسرته معراب، هناك خسارة فادحة تتمثل بعدم الإبقاء على أي حليف ليساندها. والحديث هنا لا ينحصر بانتخابات جامعية، بل بمستقبل حزبي سياسي يطمح رئيسه للوصول الى سدة الرئاسة، لكنه في الوقت عينه ينسج عداوات على مساحة 10452 كيلومتراً مربعاً. على من يعوّل جعجع لانتخابه إذاً في المجلس النيابي؟ وكيف سيتمكن من خوض استحقاقات سياسية داهمة بمفرده أو حتى التسويق لطروحاته ومشروعه؟ لا تيار المستقبل بجانبه ولا الاشتراكي يناصره ولا الكتائب يسير وراءه ولا يجمعه بحزب الله وحركة أمل أي تفصيل. رغم ذلك، يتحدث المقربون من جعجع عن مجموعة أوهام يترجمها العقل المعرابي كانتصارات مقبلة. وهذه الأوهام ليست وليدة اليوم، بل إرث يحمله معه من أيام بشير الجميل. فالأخير كان على عداء مع دائرته الضيقة بمن فيهم شقيقه. وذلك، وفقاً لما يتناقله القواتيون، كان السبب الأبرز وراء انتحاره. فلما انقلب المناخ الدولي وانتصر المشروع الأميركي ــ الإسرائيلي في لبنان (لمدة قصيرة)، فاز بشير الجميل بالرئاسة. مراهنة جعجع لا تخرج عن هذا السياق: بنظره بيت الحريري مصاب بالهريان نتيجة انخراطه في التركيبة، والطروحات الجنبلاطية فقدت جاذبيتها منذ زمن وباتت غير مجدية لأي طرف، في حين ابتلعت المجموعات الكتائب ودجّنته. لذلك تغير المعادلة الإقليمية هذه المرة «بعد سحق إيران وحزب الله»، سيبقى على جعجع وحده في قمة الجبل، ليأتي رئيساً مدعوماً من المشروع إيّاه. الأوهام تلك تأتي مكملة لأوهام قديمة سبق أن عوّل عليها رئيس الحزب من مناصرة الطائفة السنية له في المناطق «المختلطة» الى نزوح العونيين المشقين صوب معراب، وصولاً الى الاستهزاء بتأثير سامي الجميل على جمهوره، واعتباره رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل حالة سياسية آفلة يعوّمها حزب الله. هذا السياق المتوقع للأحداث، لن تؤثر فيه انتخابات جامعية تشكل بالنسبة إلى جعجع مجرد لعبة ليلهو بها «النخبويون»، فيما تعويله الأساسي يبقى على أبناء القرى التي يحتّك مسؤولو الحزب وإياهم يومياً ويوفرون لهم الخدمات والغطاء. ليست الجامعات سوى «بريستيج» لا يخدم معراب متى «دقّ الخطر» واحتاجت إلى تعبئة جهازها الأمني أو استنارة الشارع طائفياً أو إعادة رسم خطوط تماس جديدة.

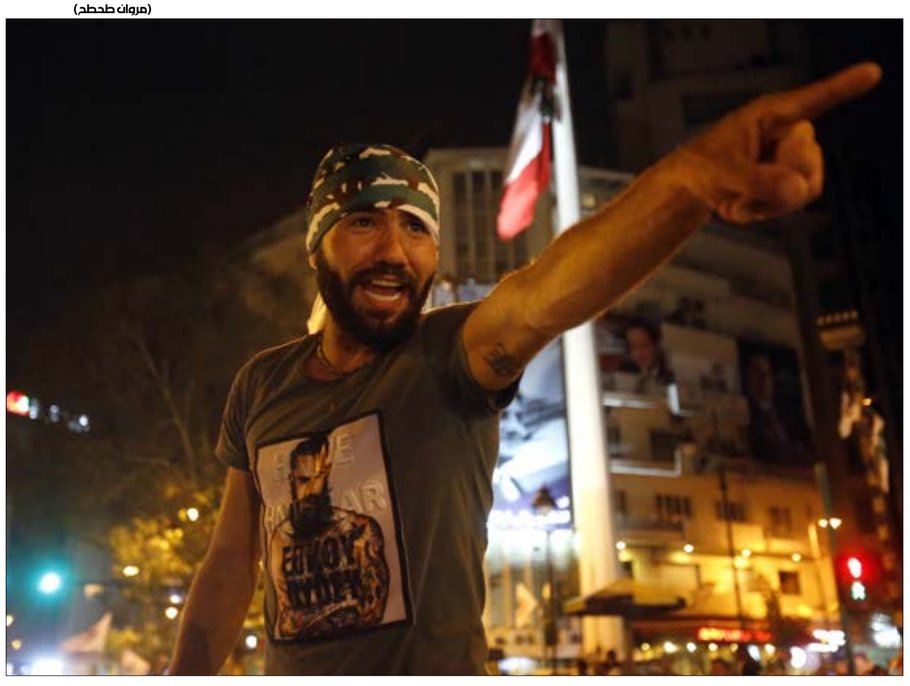
(مروان طحطح)

(هيثم الموسوي)

في اللقاء الأخير الذي جمع رئيس الجمهورية العماد ميشال عون مع الموفد الاميركي الوسيط في المفاوضات غير المباشرة لترسيم الحدود البحرية الجنوبية، تحدّث عون عن خيارات أخرى يُمكن اللجوء إليها منها التحكيم الدولي. غيرَ أنّ أكثر من رأي قانوني يؤكّد بأن هذا الخيار يشكّل «اعترافاً ضمنياً بالكيان الإسرائيلي كدولة قائمة»

تقرير

عون للأميركيّين: إذا فشل التفاوض على الترسيم... فقد نلجأ إلى التحكيم

ميسم رزق

رغمَ ما أوحَت به الدبلوماسية الأميركية، وحركتها مع المسؤولين اللبنانيين، من أنها ترمي إلى تذليل التعقيدات التي طرأت على المفاوضات غير المباشرة مع العدو الإسرائيلي، على ترسيم الحدود البحرية، إلا أن المؤشرات التي تحوط بهذه القضية تُنبئ باستهلاك المزيد من الوقت، وبقاء الثروة النفطية تحت الماء رهينة لأتحة الشروط الأميركية - الإسرائيلية. يوماً بعدَ يوم تتكشّف أحجية هرولة واشنطن و«تل أبيب» إلى توقيع اتفاق الإطار مع لبنان لانطلاق عملية التفاوض. هي صورة «الاتفاق» التي أرادتها إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب لتضاف إلى ألبوم «عمليات التطبيع» في المنطقة، وإن كانت بالنسبة إلى لبنان هي غير ذلك. أما وقد طُبعت الصورة في الأذهان، فقد بدأت المراوغة الإسرائيلية والعصا الأميركية بالتلويح، وفقدت المفاوضات زخمها، حيث لم يعُد الهدف بالنسبة إلى العدو هو ترسيم الحدود، وحسب، بل ابتزاز لبنان بهذه الورقة - بمساعدة من واشنطن - لإجباره على التنازل عن حقوقه أو الذهاب إلى ما هو أبعد من ترسيم.

ماذا لو فشلت المفاوضات؟ ماذا لو أصرّ الجانب الآخر على عدم الاعتراف بحقوق لبنان؟ ما هي الخيارات المتاحة أمامه؟ في اللقاء الأخير لرئيس الجمهورية العماد ميشال عون مع الموفد الأميركي الوسيط في المفاوضات، السفير جون ديروشيه، وفي حضور السفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا، أكد عون أن «لبنان يريد أن تنجَح مفاوضات الترسيم، وهو متمسّك بسيادته على أرضه ومياهه». عون الذي اعتبر بأن «الصعوبات التي برزت يمكن تذليلها من خلال بحث معمّق يرتكز على الحقوق الدولية ومواد قانون البحار»، أشار بحسب معلومات «الأخبار» إلى «خيارات عدّة يُمكن اللجوء إليها في حال فشل المفاوضات، من بينها التحكيم الدولي». فبعد أن طرح الأميركيون العودة إلى الخطوط السابقة (أي خط هوف) أبلغهم عون بأن لديه وثائق غربية تُثبت حصة لبنان في المساحة التي يُطالب بها (2200 كيلومتر مربع - وهي وثائق تعتمد على مسح جوي بريطاني قديم). وأشار إلى أنه «في حالة النزاع فإن لبنان لا يُمانع الذهاب إلى التحكيم الدولي ولو من خلال الأمم المتحدة»، بينما أعتبر الأميركيون بأن التحكيم سيستغرق سنوات وسينعكِس سلباً على لبنان، وأن المفاوضات هي بديل عن التحكيم. وكان من بين الاقتراحات أيضاً «طلب المساعدة من استشاريين دوليين من كبار الأساتذة الغرب والأجانب، من خلال إعداد دراسات غير مُلزمة».

لكنّ هل من مصلحة لبنان الذهاب إلى التحكيم الدولي؟ «التحكيم الدولي وسيلة متقدّمة من الوسائل القضائية لحل النزاعات، وهو يستند إلى إرادة أطراف النزاع. ويحوز التحكيم أهمية خاصة في مجال تسوية النزاعات الدولية بصفة عامة وبحل النزاعات الحدودية البحرية بصفة خاصة، حيث تختار الأطراف المتنازعة قضاة، وذلك وفق ما نصّت عليه المادة (33) من ميثاق الأمم المتحدة، باعتبار التحكيم وسيلة من وسائل حل النزاعات بالطرق السلمية. والتحكيم اليوم، مؤسسة قانونية قائمة بذاتها

> المفاوضات غير المباشرة مسار يختلف كلياً عن التحكيم

ولها أصولها وإجراءاتها الخاصة، وباتت تُدرَّس كعلم مستقل نظراً إلى أهميتها وتطورها واستجابتها لمظاهر العولمة القانونية»، بحسب كتاب (بترول لبنان في المياه البحرية / عقود وأنظمة) للخبيرة القانونية في شؤون النفط والغاز الدكتورة مي حمود والدكتور حسين العزي. الكتاب الذي يسلّط الضوء على البترول اللبناني والتحديات التي واجهها وما زال وأبرزها مسألة ترسيم المنطقة الحدودية، يُشير إلى أن «التحكيم قائم على اتفاق إرادة الأطراف، الذي يتجلى بضرورة وجود اتفاق مسبق على التحكيم وهو ما يُسمى بمشارطة التحكيم، أو يتمّ الاتفاق عليه بعد نشوء النزاع، وفي كلتا الحالتين لا بدّ من وجود اتفاق مسبق أو لاحق لتاريخ نشوء النزاع يتفق من خلاله أطراف النزاع على إحالة نزاعهم إلى التحكيم. لذا فإن التنظيم الإجرائي لمحكمة التحكيم، من حيث تشكيلها وإجراءاتها والقانون الواجب التطبيق، يخضع بطبيعة الحال لمفاوضات ولاتفاق أطراف النزاع، الأمر الذي يصعب حدوثه بين لبنان وإسرائيل». كما أن «مسألة تنفيذ الأحكام الصادرة عن محاكم التحكيم الدولي تتوقّف على إرادة الدولة التي صدر بوجهها حكم التحكيم، أي أنها مسألة متروكة لحسن نوايا الدول الأطراف».

الكلام المذكور، ونسبة إلى التجارب السابقة، يعني أن الذهاب إلى خيار التحكيم مع كيان العدو الصهيوني هو أمر غير مضمون، لأنه لا يلتزم عادة بالقرارات الدولية. هذا واحد من الأسباب التي شرحها أيضاً أستاذ القانون الدولي الدكتور حسن جوني الذي اعتبر بأن «الذهاب إلى التحكيم أو القضاء هو اعتراف ضمني بكيان العدو، خاصة أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي، وهي الجهة التي تلجأ الدول إليها عادة». يشرح جوني لـ«الأخبار» فكرته بأن «الادّعاء يجب أن يحمل صفة»، لأن «المادة 34 من نظام هذه المحكمة تنصّ على أن لا يمثُل أمامها إلا الدول». وبالتالي «إذا ذهب لبنان إلى المحكمة فهو يدّعي على العدو بصفته دولة، ما يعني الاعتراف بكيان العدو كدولة قائمة». وثانياً، حتى في حال «ربح لبنان الدعوى أمام المحكمة، فإن تنفيذ القرار التحكيمي غير مضمون، لأنّ لا أحد يجبر دولة الاحتلال على تنفيذه»، خاصة أن في فقرة أخرى ينص النظام على أنه «في حال عدم الامتثال، فلمجلس الأمن أن يتدخل وينظر في الموضوع ويصدر توصية»، أي «أنه ربما بفعل ذلك أو لا». وقدّم جوني مثالاً على ذلك وهو «قضية نيكاراغوا ضد الولايات المتحدة التي عُرضت على محكمة العدل الدولية عام 1986، والتي أقرت آنذاك بخرق الولايات المتحدة للقانون الدولي من خلال دعم المعارضة المسلحة ضد نيكاراغوا، وحكمت لمصلحة الأخيرة، لكنّ واشنطن رفضت الحكم ولم تطبقه». وإذ يكرر جوني تأكيده على أن «الاستعانة بالتحكيم هي اعتراف ضمني بإسرائيل»، أكد أن «التفاوض غير المباشر لا يعني اعترافاً، بل هو تفاوض مع جهة محدّدة لاسترجاع الحقوق، ولو كان وجودها غير شرعي، وهو مسار يختلف عن التحكيم كلياً».

كورونا

98% من مُصابي كورونا يقيمون في بيوتهم

على الرغم من ارتفاع أعداد الإصابات اليومية بفيروس كورونا في لبنان، التي تجاوز عددها الإجمالي 134 ألفاً مع إعلان وزارة الصحة العامة، أمس، تسجيل 1478 حالة جديدة (ست منها وافدة)، إلّا أن عدد المُقيمين في المُستشفيات انخفض خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية من 968 حالة إلى 935. هذا يعني عملياً أما أنّ 33 مريضاً غادروا المستشفى في يوم واحد أو أن أعداد هؤلاء كانت أكثر بكثير من أولئك المرضى «الجدد» ممن استدعت حالتهم الإقامة في المُستشفيات.

وحتى ليل أمس، كان عدد الحالات الحرجة من إجمالي حالات الاستشفاء 347 مريضاً (132 منهم موصولون على أجهزة التنفس)، فيما بلغ إجمالي الوفيات 1078 شخصاً مع تسجيل 12 وفاة جديدة.

في «جسبة» بسيطة، ومُقارنة مع عدد المُصابين الفعليين حالياً الذين يتجاوز عددهم 47 ألفاً (بعد شفاء أكثر من 86 ألفاً)، يتبيّن أن نحو 2% فقط من المُصابين يُقيمون في المُستشفيات، فيما يُلازم 98% من المرضى بيوتهم، ما يطرح تساؤلات بشأن آليات الرقابة والمتابعة التي يتلقاها هؤلاء، وخصوصاً أن نسبة «الشغور» في مراكز العزل للحالات المُصابة (التي تم تجهيزها بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية واليونيسف وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ويبلغ مجموعها 30 مركزاً) وصلت إلى 93%.

> نسبة «الشغور» في مراكز العزل وصلت إلى 93%

فبحسب أرقام غرفة العمليات الوطنية لإدارة الكوارث، ومن أصل 1312 سريراً مخصصاً للعزل، ثمة 88 منها فقط مشغولة. لماذا؟ يقول المعنيون في وزارة الصحة إنّ هذه الأسرّة مخصصة لأولئك الذين لا يملكون بيوتاً ومنازل من عدة غرف، وكثيراً ما يُفضّل المرضى البقاء في بيوتهم. ولكن ألا يحتم هذا الواقع حجر بقية أفراد الأسرة؟ بالطبع، تقول مصادر الوزارة، مُشيرةً إلى أنه في معظم الحالات يتم حجر معظم أفراد الأسرة مع المريض إلا في حال قرر هؤلاء الإقامة المؤقتة في أماكن أخرى. ولكن هل تملك وزارة الصحة الإمكانات اللازمة لمراقبة التزام جميع هؤلاء المحجورين؟

في المبدأ، يعترف المسؤولون في الوزارة بعدم قدرتهم على فرض التزام جميع المرضى «مرافقيهم» وحثهم على عدم الاختلاط، وهو ما تُبيّنه النسب التقديرية للالتزام الواردة في تقارير غرفة العمليات؛ فعلى سبيل المثال، فإن نسبة التزام العزل في محافظتي بعلبك وعكار بلغت 40% فقط! إلا أن الرهان يبقى، إلى جانب «ضمير» المرضى، على «الدور الرقابي الذي يُمارسه المحيط المجتمعي الضيق للمريض ممن سيخافون على أنفسهم حكماً».

الجدير ذكره أن وزارة الصحة، بالتعاون مع البلديات، وبعض المتطوعين يعمدون إلى تقسيم أسماء المُصابين وتوزيعهم على المحافظات، على أن تتم متابعتهم عبر الهاتف وفق إقامة كل مريض، «لكن هناك الكثير من العوائق اللوجستية التي تحول دون تمكننا من التأكد إذا ما كان المريض أو مرافقوه يلازمون البيت فعلياً أو لا».

(الأخبار)

تحقيق

انعكاسات ظاهرة تغير المناخ لا تقل كارثية عن تلك التي تسبّبت بها جائحة «كورونا»، يوماً بعد آخر، نتلمّس مزيداً من المؤشرات على الآثار المدمّرة لهذه الظاهرة، فيما الدولة - كالعادة - في سبات عميق، ويتنازع أطرافها السيطرة على الفتات

تغير المناخ الكارثة حلّت

حبيب معلوف

بدأ لبنان يتلمّس ما الذي يعنيه فعلاً تغيّر المناخ وانزياح الفصول. البرد هذا العام (كما في السنوات الأخيرة) يتأخر، وشهدت بداية شهر كانون الأول ارتفاعاً ملحوظاً. البلد الذي

رغم الانعكاسات الكثيرة لظاهرة تغيّر المناخ بقيت خارج اي بحث رسمي ولم تتناولها اية استراتيجية او خطة

لطالما عُرف بأنه معتدل مناخياً. بدأ يشهد ظواهر تطرف مناخي كسقوط الأمطار بغزارة غير مسبوقة في وقت قصير، ما يسبّب فيضانات وسيولاً وانجرافاً في التربة ونقصاً في المياه العذبة لعدم القدرة على زيادة التخزين الجوفي.

هذه واحدة من إشكاليات كثيرة تثيرها ظاهرة تغيّر المناخ، بقيت خارج أي بحث رسمي، ولم تتناولها أية استراتيجية أو خطة، ولا قانون المياه الذي عُدّل في مجلس النواب في 30 أيلول الماضي. والأسوأ أنه بدل إجراء مراجعة عميقة لهذا الموضوع، حُصر النقاش في أمور تحاصصية (من قبيل النزاع على الصلاحيات بين وزارة الطاقة والمياه والهيئة الناظمة) على حساب إشكاليات استراتيجية كالجفاف والتبخّر والتلوّث لأهم مورد حيوي في بلد كلبنان!

بغضّ النظر عن الأرقام التي ترد في تقارير البنك الدولي حول زيادة الطلب على المياه (وهي لا تخلو من مبالغات وتهويل للترويج للمشاريع الاستثمارية)، إلا أن الإشكالية الأهم للتغير المناخي تتمثّل في آثاره السلبية على الثروة المائية. فزيادة حرارة الأرض سيكون لها تأثير بالغ على التنوع البيولوجي والزراعة وستنعكس شحّاً في المياه العذبة. ولعل توقع زيادة الجفاف هو النتيجة التي لا تقبل الشك، وهي تعني تناقصاً في المتساقطات (تتحدّث تقارير دولية ومحلية عن تراجع بنسب تُراوح بين 5% و30%)، أو ارتفاعها وهطولها بغزارة في فترات قصيرة، ما يتسبب بفيضانات ويحول دون استفادة الخزانات الجوفية منها بسبب سرعة جريانها. أضف إلى ذلك أن زيادة حرارة الأرض (بين نصف درجة و4 درجات بحسب التوقعات)، تعني سرعة في ذوبان الثلوج وتراجع المخزون الجوفي. والقاعدة في هذا المجال واضحة: كلما تأخر بقاء الثلوج فوق قمم الجبال، زادت قدرة الينابيع السطحية على العطاء، إن لناحية الكمية أو لناحية التوقيت والاستمرارية في التدفّق. وارتفاع حرارة الأرض يعني، أيضاً، زيادة تبخّر المياه السطحية. وليس هذا تفصيلاً في بلد كلبنان قرّر في سياسته غير الحكيمة إنشاء نحو 40 سداً سطحياً بما يخالف أبسط قواعد «التكيّف» مع التغيرات المناخية. فتخزين المياه في سدود مكشوفة يعرّضها لزيادة التبخر والتلوث، خصوصاً مع الارتفاع المتوقّع لحرارة الأرض.

انخفاض المتساقطات يعني زيادة السحب من المياه الجوفية، وبالتالي زيادة تملّح المياه العذبة في المناطق الساحلية القريبة من البحر. ناهيك بالزيادة الأخرى في تملّح هذه المياه، والناتجة عن ذوبان الجليد وارتفاع مستويات مياه البحار ما سيؤدي أيضاً إلى زيادة تملّح المياه الجوفية العذبة. أضف إلى ذلك أنه ليست هناك، حتى الآن، دراسات كافية حول أثر الذوبان السريع للثلوج على القطاع السياحي المرتبط شتاءً برياضة التزلج.

دراسة تأثير تغيّر المناخ على الزراعات لا تزال في بدايتها أيضاً. ورغم أن البعض يتحدث عن «إيجابيات»، كزرع بعض الأشجار المثمرة الساحلية في المرتفعات مع ازدياد حرارة الأرض، إلا أن هذا «المنطق الإيجابي» لا يأخذ في الاعتبار الزراعات التي ستتأثر سلباً بارتفاع حرارة الأرض، ولا الأمراض الجديدة التي قد تنشأ عن ذلك. وما من دراسات دقيقة بعد حول أثر تغير المناخ وارتفاع الحرارة على حياة كثير من الكائنات الحية، ولا سيما الآفات الزراعية التي يمكن أن تزداد قدرتها على الفتك بالمزروعات والتأثير سلباً في الثروة الزراعية والأمن الغذائي. علماً أن دراسات عالمية عدة أكّدت انعكاس ارتفاع الحرارة تحمّضاً على المحيطات (بسبب امتصاصها ثاني أوكسيد الكربون) وقضاءً على كثير من الأنواع البحرية وتهديد الأمن الغذائي البحري.

وللتغيرات المناخية تأثيرات خطرة على التنوّع البيولوجي عموماً، رغم أن الدراسات في هذا المجال نادرة جداً. وقد فُتح نقاش شبه يتيم حول هذا الأمر عام 2014، عندما نظّم مشروع التحريج في لبنان (LRI) الممول من الوكالة الأميركية للتنمية، طاولة مستديرة لمناقشة نتائج دراسة حول الانعكاسات المحتملة للتغير المناخي على توزّع بعض أصناف الأشجار الحرجية، وخلصت إلى اختيار عشرين نوعاً منها أوصت بحمايتها (!)، علماً أن أي عالم بيولوجي أو إيكولوجي لا يمكنه أن يحدد الأشجار البرية الأكثر تعرضاً لتغير المناخ، ولا الفصل بين الأشجار وبقية الكائنات التي تعيش في النظام الإيكولوجي نفسه.

وهذه الإشكالية، تفتح على أخرى لا تقلّ فداحة، وهي قضية التعويض الإيكولوجي وحملات إعادة التشجير التي تُلعب دوراً في «تخفيف» الانبعاثات. إذ ليس معروفاً لماذا يجري الفصل بين إعادة التشجير وحماية الغابات من الحرائق والعمران وأعمال المقالع والرمال وشقّ الطرق العشوائية... وليس معروفاً، أيضاً، وفق أية قواعد يتم اختيار الأنواع التي يفترض غرسها والتي يفضل أن تكون بلدية وليست مستوردة أو غريبة عن النظم الإيكولوجية التي اعتادتها. كما لم تُدرس بعد آثار المزروعات الغريبة والأمراض التي تحملها معها على الكائنات المستوطنة.

(هيثم الموسوي)

بلاغات بلا استراتيجيات

بحسب بلاغ لبنان الثاني إلى الاتفاقية الإطارية لتغير المناخ عام 2011 (لم تتغير الأرقام في البلاغ الثالث عام 2014)، يتوقع بحلول عام 2040 أن ترتفع الحرارة درجة مئوية واحدة على الساحل ودرجتين في الداخل، وبين 3,5 و5 درجات بحلول عام 2090. كما يتوقع أن تتراجع كمية الأمطار بين 10% و20% بحلول عام 2040 وبين 25% و45% بحلول عام 2090. وسيكون لذلك أثر بالغ السلبية على القطاع الزراعي وحياة الغابات والثروة المائية، وعلى الصحة العامة بسبب زيادة الوفيات من شدّة الحرارة صيفاً. رغم ذلك، لم تتوسّع الدراسات ولم تُغيِّر السياسات ولا سيما في محورين جوهريين: التخفيف من تغير المناخ والإجراءات المطلوبة للتكيّف على المدى البعيد مع هذه الظاهرة المدمّرة.

تقرير

«صناعة» المنظّفات تزدهر

سوائل لا «ترغي» ولا تنظّف!

رحيل دندش

«ماركات» وأسماء وأشكال وألوان وروائح مختلفة من موادّ التنظيف والصابون والمطهّرات غزت الأسواق في الأشهر الأخيرة، غالبيتها العظمى لم يسمع بها أحد قبل أشهر. انهيار القدرة الشرائية دفع كثيرين إلى البحث عن بدائل لمواد التنظيف والسوائل التي اعتادوا استعمالها سابقاً، بعدما باتت هذه خارج استطاعة كثيرين للوصول إليها. انتشار «كورونا» و«حمّى التعقيم» التي رافقته ساهما في ازدهار هذه «الصناعة» التي باتت مورد عيش كثيرين، خصوصاً أنها لا تحتاج إلى تقنيات عالية. هكذا تنتشر معامل بدائية لـ«طبخ» هذه المواد في الجنوب والبقاع وجبل لبنان، وداخل المخيمات الفلسطينية في بيروت. مواد وسوائل بأسماء وهمية أو بلا أسماء، وهي في الحالتين بلا مواصفات ومقاييس، تُطرح في المحالّ التجارية أو تُباع «أونلاين»، وتشهد إقبالاً كبيراً من دون الالتفات إلى نوعيتها وطريقة تصنيعها وتركيبتها وما إذا كانت تتسبّب بأضرار صحية أو مادية. فيما أكّد المدير العام لوزارة الاقتصاد محمد أبو حيدر لـ«الأخبار» أن هذه السنة «شهدت إقبالاً غير مسبوق على تسجيل علامات تجارية جديدة في وزارة الاقتصاد، خصوصاً من المعقّمات والمنظّفات».

سائل جلي بعطر الليمون أو التفاح، صابون سائل، كلور، مطهّرات بعطر الصنوبر أو اللافندر متعددة الاستعمالات للمساحات والأرضيات، شامبو بحجم عائلي، معطّرات، مساحيق بودرة للغسيل... كل ما يمكن تخيّله من أدوات التنظيف بات يُصنَع يدوياً. خالد يوسف، أحد هؤلاء الذين امتهنوا «صناعة» مواد التنظيف مع بداية ارتفاع أسعار السلع، واعتمد مُنتَجاته اسمين تجاريين، يؤكّد لـ«الأخبار» أنه حاز شهادة صناعية من وزارة الصناعة، مقراً بأنه ليس كيميائياً، ولكن «يمكن لأيّ كان أن يتعلّم التركيبة من اليوتيوب ويطبقها... وببعض الممارسة يصبح خبيراً».

سعيد كنج الذي أجرى دراسة بهدف افتتاح معمل لصناعة التنظيفات، لفت إلى أن «مشكلة غالبية المنتَجات المطروحة في السوق لا تكمن في المواد الخام التي يحتاج إليها المنتَج لأنها هي نفسها في كل المنتَجات، وإنما في نسبة تركيز هذه المواد في المنتَج». وأوضح أن هذه النسب «دون المستوى في معظم هذه المنتَجات ما يجعل السلعة غير ذات جودة. إذ يعمد كثيرون إلى استبدال بعض المواد الخام النشطة الأساسية التي يكون المنظّف من دونها بلا فعّالية، بكميات كبيرة من الملح المخصّص للتصنيع، وهو رخيص الثمن إذ لا يتجاوز سعر الكيلو منه 600 ليرة، تضاف إليه مواد لزجة وعطرية، ما يؤدي إلى تلف الغسالات والثياب».

وأشار كنج إلى أن المواد الأساسية الخام المستخدمة في التصنيع هي كلوريد الأمونيوم، سميسول، ببورات الصوديوم، سلفونيت، غليسرين، مواد صبغية، صودا كاوية، كلوروكسيلينول، وأنواع من الزيوت، وهي تُستورد من مصر وسوريا والسعودية والصين وأندونيسيا، فيما تُستورد المواد العطرية من الهند.

وإلى المنظّفات والسوائل التي لا «ترغي» ولا تنظف، يعمد بعض من يعملون في هذا «الكار» إلى تزوير علامات تجارية معروفة، إذ يعمدون إلى شراء العبوات المستعمَلة لهذه «الماركات» ويعيدون تعبئتها بمواد مصنّعة وتباع للزبون كـ«عروضات خاصة»، بأسعار تقترب من سعر المنتَج الأصلي.

مديرة مؤسسة المقاييس والمواصفات اللبنانية (ليبنور)، لانا درغام، حذّرت من أن عدم التزام هذه الصناعات بالمواصفات «يشكّل خطورة على الإنسان، خصوصاً مع وجود مواد مثل سولفايتس وغيره من الكيميائيات التي تؤثر في الجهاز التنفسي ناهيك بالتلوث الذي تلحقه بالطبيعة». ولفتت إلى أن المؤسسة «حدّدت مواصفات ومعايير لصناعة المنظّفات والمعقّمات تضمّنت الشروط الكيميائية والميكروبيولوجية بما يحافظ على صحة الإنسان والسلامة العامة والبيئة، وهذه المواصفات صدرت بموجب مرسوم له صفة الإلزام القانوني ويفترض أن تراقبه الوزارات المعنية، كل بإطار صلاحياتها». درغام نبّهت من أن «غياب الرقابة سيجعل دائرة الفلتان تتسع»، مشدّدة خصوصاً على ضرورة الرقابة على مستويين: سواء منح تراخيص التصنيع من وزارة الصناعة، وفي ضبط الأسواق ومراقبتها من وزارة الاقتصاد».

ولأن «لبنان من أنشط الدول على

عدم التزام هذه الصناعات بالمواصفات يشكّل خطورة على الجهاز التنفسي

مستوى الأمراض السرطانية، وهذه السلع قد تزيد من هذه الأمراض»، حذّر رئيس جمعية حماية المستهلك زهير برو من «شراء هذه الغالونات من دون الالتفات إلى العلامة التجارية والمعايير ومكان التصنيع». وأشار إلى أنه «في هذه المرحلة الصعبة التي يمر بها البلد فإن مجالات الاسترزاق ستزيد، وهي لا تقتصر على مواد التنظيف وإنما حتى على مستوى الصناعات الغذائية. فيما وزارة الاقتصاد منشغلة بمهمة دعم الغذاء والدواء والمحروقات ومراقبة أكثر من 22 ألف نقطة بيع». انطلاقاً من ذلك، ينبغي وفق برو، «وقف الدعم ومنح بطاقات للفقراء ما يساعد وزارة الاقتصاد على التفرغ لمهمتها الأساس في مراقبة البضائع الموجودة ونوعيتها ووقف كل ما هو غير مرخّص لما قد يحمل من مخاطر على الصحة العامة». الوزارة التي دهمت قبل أسبوع مصانع لمواد تنظيف في الشمال تقرّ، على لسان مديرها العام، أنها «مش لاقطة السوق حتى الآن»، وأنها تعتمد اليوم على الشكاوى التي تردها من المواطنين، ولفت أبو حيدر إلى أنه رفع كتاباً إلى نقابة أصحاب السوبرماركت ومحال البيع «لتزويد الوزارة بمعلومات حول السلع المنتجة محلياً والتي تُعرض في السوق للمرة الأولى، من أجل أخذ عيّنات وفحصها على نفقة المصنّع». علماً أن غالبية هذه المواد تُباع في المحال الصغيرة غير المنتسبة إلى النقابة، وخصوصاً في الأحياء والضواحي الشعبية.

مجموعة إتحاد المقاولين
(CCC)

تنعي ببالغ الحزن والأسى المرحوم

باسل أمين عقل

صديق العمر ومستشار للمؤسّستَيْن
المرحوم حسيب الصبّاغ
والمرحوم سعيد الخوري

وتتقدّم من زوجته وأولاده وعائلاتهم الكريمة
بأحر التعازي القلبيّة داعين الله عزّ وجل أن يتغمّد
الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه

اتفاقية باريس: صدف

صادق مجلس النواب على القانون 2019/115 حول اتفاقية باريس المناخية لعام 2016. وبموجب هذا القانون، التزم لبنان بتقديم «المساهمة المحددة وطنياً» (NDC) كل خمس سنوات، وتعهد بأن يخفّض انبعاثاته 30% بحلول عام 2030، وهي مقسّمة بين 15% بشكل غير مشروط و15% بشكل مشروط بتلقي دعم دولي. مع الإشارة إلى أن تقديم المساهمة المحددة وطنياً ملزم، إلا أن تنفيذها غير ملزم ويعتمد على الظروف الوطنية ومستوى الطموح لكل دولة. علماً أنه تم تقديم 160 مساهمة حول العالم بينها 20 دولة عربية. فيما قدّم لبنان بصفته من الدول التي صادقت على الاتفاقية الإطارية لتغير المناخ التي أُبرمت عام 1992 بلاغات عدة للأمانة العامة للاتفاقية.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق إيلي حنا امل التحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للتفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15ـ 01 /666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

الصراع السعودي - الإيراني وتزييف التاريخ المعاصر

أسعد أبو خليك *

لاقى كتاب كيم غطّاس «الموجة السوداء: السعودية وإيران وصراع الأربعين سنة الذي فكّك الثقافة والدين والذاكرة الجماعيّة في الشرق الأوسط» تهليلاً في الإعلام الغربي، كما أنّ الكتاب بات يحتلّ مركزاً مرموقاً في قوائم الكتب المُقترحة في صحف الغرب. عنوان الكتاب وحده يكفي ليدعك تتوقّع، أو تتوجّس، أنّ الكتاب سيكون «خبيصة» وأنّ الكاتبة ليس لها تركيز أو منهج معيّن، وأنّ تجميع مقالات مبعثرة للمؤلّفة يحاول أن يحشر عنواناً. والإطراء على الكتاب (من صحافة الغرب خصوصاً) متوقّع لأنّ غطّاس عملت في وسائل الإعلام الغربيّة، وهي تنتمي حكماً إلى الإعلام الغربي السائد، بليبراليّاته المنفّرة وانحيازه وقيمه وأولويّاته. والعربي لا يمكن له أن يدخل إلى الإعلام الغربي، من دون أن يعتنق كلّ انحياز هذا الإعلام ضد العرب، لا بل إنّ واجب العربي الأوّلي أن يُزايد في اعتناقه كي يثبت ولاءه وصدق تخلّصه من أيّ تعاطف مع الشعب الذي انتمى إليه بالولادة فقط: هذا مثل حالة نورا بستاني التي كانت مراسلة «ذا واشنطن بوست» في بيروت. كانت تجهد كي تقلّد كلّ انحيازات وعدم مهنيّة مراسلي الغرب. العربي في إعلام الغرب، مثل الشيعي في إعلام الخليج: يحتاج إلى إثبات ولاء يومي وإلا الطرد الفوري. ولا تحيد غطّاس عن هذا الخط.

الكتاب ليس إلا مجموعة مقالات صحافية غير مترابطة تتعرّض لمواضيع متفرّقة، مثل علي شريعتي ورفيق الحريري وضياء الحق وموسى الصدر وصدّام حسين وحزب الله، ثمّ الصراع السعودي - الإيراني في المنطقة. والعنوان الفرعي للكتاب يشرح المشكلة: أنّ الكاتبة أرادت أن تجمع مقالاتها الصحافيّة عن عقدين وتزعم أنّ النتاج هو كتاب ذو موضوع واحد. وغطّاس عملت مراسلة لـ«بي. بي سي» في بيروت، ثمّ في واشنطن وكتبت كتاباً تبجيلياً عن هيلاري كلينتون. وفي كتابها عن كلينتون، «الوزيرة»، تشرح غطّاس توجّهاً للقارئ الغربي مباشرة، إذ تقول له إنّ أمها هي هولندية (لا ندري أهميّة هذه المعلومة) وإنّها علمانيّة و«مرتبطة بالغرب» (ص. 2)، وإنّه بالنسبة لها: فإنّ أوروبا والولايات المتحدة تمثّلان «الأمل» (وليس الحروب، والاستعمار، والصهيونيّة، والقمع الطبقي، والاحتلال). هي تذهب أبعد من ذلك في كتابها الأول وتقول إنّها، خلافاً لـ«الكثيرين» من أبناء وبنات جلدتها، لم تشعر يوماً برباط مع «الاتحاد السوفياتي أو إيران أو سوريا». ولا تدري في تلك المقدّمة إذا كنتَ تقرأ مقدمة لكتاب أو طلب انتساب لحزب الرجل الأبيض في الغرب، أو ملء قسيمة هجرة في دولة غربيّة. هي كانت تُطمئن الحكومة الأميركيّة إلى أنّها عادت في حياتها كلّ أعمار أميركا، حتى عندما كانت صغيرة في زمن الحرب الباردة. ولماذا لم تذكر أنّها كرهت برجنيف كما كرهت الخميني؟ وجمع النظام السوري والإيراني مع الاتحاد السوفياتي أفصح الكثير عن نواياها. الكاتبة تكتب هذه الأيام في مجلّة «ذي أتلانتك» التي يرأس تحريرها جيفري غولدبرغ، الجندي السابق في جيش الاحتلال الإسرائيلي. لكنّ مقدّمة الكتاب الأوّل لها (هذا هو كتابها الثاني)، تفصح الكثير عن عقدة متحكّمة بنفسها: إنّها تريد من الغرب أن ينسى اسمها العربي وأن ينسى مكان ولادتها وأن يقبلها كواحدة منهم. والغرب مضياف نحو العرب الموافدين إلى إعلامه، إذا أحسنوا الامتثال وأعادوا كتابة ما يقرأونه من غلاة المتعصّبين الغربيّين ضدّ العرب والمسلمين.

ولشخص ينتمي للمنطقة ونشأ فيها، غطّاس جاهلة عن الإسلام لا بل معادية له. لكن جهل الإسلام بين سكّان لبنان ليس بجديد. ولو أنّ غطّاس تعاطت مع اليهودية، كما تعاطت مع الإسلام في الكتاب، لنالت وصمة أبديّة بمعاداة السامية، لكن ليس من وصمة لمعاداة الإسلام في الغرب، بل ثناء وأوسمة وتقدير. وهي تجد ضرورة لتوضيح جملة إذا ما ورد فيها إشادة بمؤمن مسلم (على الطريقة المتعارف عليها حتى في لبنان، «إنّ هذا لا يبدو مسلماً»، أو «إنّ هذا مسلم لكنّه ليس مثل غيره»، أو «أنت ما شكلك مسلم»، وغيرها من التعبيرات التي ألفها مسلمون ومسلمات في لبنان). تقول كيم غطّاس عن مسلم: «هو مؤمن لكنّه تقدّمي» (ص. 102). أي هي تقول للقراء إنّه ليس من عادة المسلمين الورعين أن يكونوا تقدّميين. والرجل الذي كانت تتكلّم عنه، والذي يكتسي هالة تبجيل في كتابها، ليس إلّا السياسي السوري المحافظ، معروف الدوالـيبي، المستشار الرجعي للملك السعودي والداعية ضد الشيوعيّة والاشتراكيّة في سنوات الحرب الباردة. وتذكّر القارئ بأنّ الدوالـيبي تزوّج من فرنسيّة للتدليل على تقدميّته وانفتاحه. يمكن لها أن تشيد بسهولة بمستشار للملك السعودي، لكن لا يمكن لها، مثلاً، أنْ تشيد بمستشار للنظام الإيراني (هي مثل هؤلاء الذين يرفعون في لبنان على مواقع التواصل الاجتماعي شعار «لا مع إيران ولا مع السعوديّة») فيما كلّ تغريداتهم تصبّ فقط ضد إيران وضدّ حزب الله).

لكنّ انحيازها السياسي ظاهر في كتاب عن الصراع السعودي - الإيراني، إذ أنّ كلّ أبطالها هم يعملون لمصلحة النظام السعودي أو لمصلحة إعلام أمرائه (جمال خاشقجي، وحازم صاغية وبادية فحص ببسان الشيخ وصبحي الطفيلي وهاني فحص، إلخ، وهؤلاء مذكورون في قسم التنويه والشكر لأنّها اعتمدت عليهم كمصادر أساسيّة في الحديث والمواضيع). يظهر عداؤها للإسلام بأشكال عدّة، ومنها الهوس بالحجاب: من يرتديه ومن ينزعه. ونزع الحجاب هو دليل قاطع على التحرّر ولا تعطي هي المرأة المسلمة القدرة الإنسانيّة. وتزعم أنّ الفنانات المصريّات اللواتي تحجّبن وتقاعدن عن الفن فعلن ذلك فقط لأنّهن تلقّين الرشاوى. طبعاً، طالت هذه الإشاعات فنانات عديدات، لكنّ غطّاس ليست من الصحافيات اللواتي يتمنّعن عن نشر شائعات في كتاب (ص. 165) إذا كانت الشائعة تتوافق مع الأهواء السياسية (إنّ «الموجة السوداء» في عنوان الكتاب ليست إلّا إشارة إلى مظهر الحجاب الأسود الذي يقضّ مضجعها على ما يبدو). وهي لا تعرف، مثلاً، أنّ الوهّابية لا تنتمي إلى المذهب الحنبلي، لأنّ العقيدة الوهّابية تزعم أنّها أصل الإسلام قبل المذاهب والفرق. وتزعم غطّاس أيضاً أنّ حزب الله قرّر هكذا تطويل فترة الحداد في عاشوراء (ص. 203)، وتصف عاشوراء بأنّها «فترة عويل وضرب الصدور». هل يمكن تصوّر ردّ الفعل لو أنّها سخرت، مثلاً، من طقوس دينيّة يهوديّة؟

والكاتبة لم تخفِ في عملها الصحافي تأييدها لـ14 آذار، وإعجابها بزعماء فاسدين موالين للسعودية، مثل وليد جنبلاط وفؤاد السنيورة ورفيق الحريري. وهي تقبل ما يقوله لها السياسيّون الذين تلتقي بهم. ولأنّها تفتقر إلى المعرفة والإدراك، فإنّ خداعها سهل، والمثل الأبرز في الكتاب، هو مقابلاتها مع حسين الحسيني ومع أفراد عائلته (المذكورين في قسم التنويه). لا ندري إذا كان ما نسبته للحسيني عن دوره هو صحيح أم لا، لكن في غياب النفي من قبله لما ورد في الكتاب المنشور، يجب أن نفترض أنّ نقلها لكلامه كان دقيقاً. لكنّ الرواية التي حاكها الحسيني عن دوره، بحسب ما يرد في الكتاب، لا تقترب من الواقع. هو يقول

> **كتاب كيم غطّاس لا يُعوّل عليه إذ يحاول أن يبني سردية دعائيّة لا أكاديميّة أو تاريخيّة للصراع الإقليمي الراهن**

إنّه استقال من حركة «أمل» (ص. 113) لكنّ فتحت أو جمال الجرّاح مروح، لصدقناها على الفور لأنّها على صلة بمحيطه السياسي. ثمّ تنسب هذا القول لجان بول سارتر: «ليس لدي دين، لكن لو كان لي أن أختار ديناً فإنّه سيكون (علي) شريعتي» (ص. 33). لم يقل سارتر ذلك، ولا يمكن لسارتر أن يقول ذلك (مع أنّ القول نُشر في مجلّة فرنسيّة، لكن لنتذكّر أنّ الخيال الشعبي الشيعي المعاصر ينسب أقوالاً غير صحيحة لمشاهير حول العالم لشخصيّات شيعيّة، من الحسين إلى الخميني).

هناك لامبرجوحتان في الكتاب. الأولى: أنّه ليس لأميركا وإسرائيل أيّ دور أبداً في شؤون الشرق الأوسط (وهذه الأطروحة سائدة في لبنان حيث لا يزال يصرّ البعض على أنّه ليس لأميركا أيّ ضلع في الانهيار المالي اللبناني). تعتقد الكاتبة أنّ كلّ الصراعات والقلاقل والدماء في المنطقة، هي نتيجة صراعات بين مسلمين. ولاحظت غطّاس في خاتمة الكتاب، فقط في الخاتمة، أنّ الولايات المتحدة غائبة تماماً عن سرديّتها. كيف تفسّر لنا ذلك؟ تقول إنّ السعوديّة وإيران لديهما «القدرة على التقرير» (ص. 274) كأنّها بذلك تستعمل مقولةً لدحض الاستشراق، لتسويق مقولة ترويج للهيمنة الأميركيّة وفرضيّاتها. وإذا كان للنظامين السعودي والإيراني القدرة على التقرير، أليس للإمبرياليّة الأميركيّة القدرة على التقرير؟ ثمّ هل السياسات والأدوار السعودية في المنطقة، من الصراع ضدّ عبد الناصر ومؤازرة «الإخوان»، إلى حرب اليمن الأولى والثانية، لا تكون مُنسّقة بالكامل مع الحكومة الأميركيّة؟ نحن لا نتكلّم عن عدوّ لأميركا هنا. لكنّ غطّاس تعترف بأنّ أميركا ارتكبت «أخطاء» (ص. 274)، وأنّ غزو واحتلال العراق كان نتيجة «تضليل» (ص. 188). من ضلّل من، يا كيم؟ هل ضلّل الضحايا الحكومة الأميركيّة وجعلوها تغزو العراق وتقتلهم؟ هل هذه على طريقة غولدا مائير عندما لامت العرب لأنّها تقتلهم؟

إنّ الكتاب هو ترويج للإمبراطوريّة ببساطة شديدة. وعندما تتحدّث عن فصل الترويج للإسلام المحافظ والمتزمّت من قبل الحكومة السعوديّة والباكستانيّة، لا تعترف أنّ الحكومة الأميركية كانت شريكة مباشرة وفعّالة في تلك الحقبة من الحرب الباردة. لم تكن دول الغرب بريئة البتّة في الترويج للإسلام الرجعي، عندما كان ذلك مؤاتياً ضدّ أعداء الغرب من التقدميّين والشيوعيّين في العالم العربي، وحتّى في الاتّحاد السوفياتي. كان بريجنسكي وغيره من خبراء أميركا في شؤون الاتّحاد السوفياتي، يعوّلون على الإسلام كعنصر لتقويض الاتّحاد السوفياتي من الداخل. وكان لهؤلاء ما أرادوا عندما نصّب الاتّحاد السوفياتي نظاماً تقدّميّاً في أفغانستان، فشكّل التحالف الغربي - السعودي جبهة عالميّة من الرجعيّين الإسلاميّين الإرهابيّين. وكان للأنظمة العربيّة أسبابها لاحتضان «الإخوان» وفصائل الإسلام الرجعي (وهذه الأسباب كانت تتعلّق بمعاداة عبد الناصر والقيم التقدّمية التي كان يبثّها في الفضاء السياسي العربي) لكنّ الأنظمة فعلت ذلك أيضاً لمراضاة الحكومة الأميركيّة التي كانت تحبّذ استعمال الإسلام ضد الشيوعيّة والتقدّمية حول العالم. (راجع هنا كتاب جوزيف مسعد «الإسلام في الليبراليّة»).

أمّا عن إسرائيل، فهي غير موجودة في هذا الكتاب. والذي يقرأ هذا الكتاب لا بدّ أن يطلع بخلاصة أنّ إسرائيل ليست إلّا ضحيّة بريئة للإرهاب الإسلامي والعربي. وغطاس تكنّ كراهية ضدّ الشعب الفلسطيني (وهذا مألوف في وسط اليمين اللبناني الذي يتسنّى بصفّة الليبراليّة أحياناً). وتبلغ بها الصفاقة أن تزعم بأنّ المقاومة الفلسطينيّة كانت تتقصّد حصراً استهداف المدنيّين في فلسطين المحتلّة (ص. 113). أي أنّ غطّاس كرّرت الدعاية الصهيونيّة بلا كيف. وفصول العدوان الإسرائيلي المتكرّر، والغزوات والاجتياحات، لا ترجّع غطاس. وحتى عندما يجمع مؤرّخو العدو الإسرائيل على أنّ معظم اللاجئين الفلسطينيّين لم يغادروا فلسطين طوعاً، بل رُحّلوا عنها قسراً بقوّة السلاح، فإنّ غطّاس تصف طرد الفلسطينيّين بأنّه كان مجرّد «رحيل» لهم. كأنّها كانت تتكلّم عن مشوار لشعب فلسطين، ثم أضلّ الشعب طريقه. حتى صحف الغرب الصهيونيّة باتت تشير إلى عمليّات التهجير القسري التي طالت الشعب الفلسطيني.

الأطروحة الثانية في الكتاب مفادها أنّ النظام الإيراني مسؤول عن الصراع السنّي - الشيعي في المنطقة. صحيح أنّها لا تُكرّر مقولة محمد بن سلمان الرائجة عن أنّ النظام السعودي لم يروّج وينشر الأصولية الإسلاميّة، إلا ردّاً على الثورة الإيرانيّة. وهذه المقولة لمحمد بن سلمان باتت لازمة في الإعلام العربي (التابع له، في أكثره). الطريف أنّ مذكّرات السفير والوزير السعودي السابق، عبد العزيز خوجة (صدرت تحت عنوان: «التجربة: تفاعلات السياسة والثقافة والإعلام»)، تدحض مقولة محمد بن سلمان لأنّها تذكر تأثير انتفاضة الحرم على السياسات السعوديّة، كما أنّ تكفير الناس والمعارضين، كما تكفير جمال عبد الناصر نفسه، جرى قبل انتفاضة الحرم وقبل الثورة الإيرانيّة - كان ذلك في الستينيّات. لكن رواية غطّاس تعطي أسباباً تخفيفيّة للعائلة السعوديّة المالكة، عندما تجعل أفرادها أسرى مغلوباً على أمرهم لعلماء المملكة. وتتحدّث عن علماء المملكة بجهل تام لطبيعة العلاقة بين العلماء وبين السلطة السياسيّة، لأنّ العلماء لم يكونوا يوماً صانعي قرار. كما أنّ السياسات الأخيرة لمحمد بن سلمان تتعارض تماماً مع العقائد الدينيّة التي كان العلماء يروّجونها (بإيعاز من العائلة المالكة على مدى عقود) ولم يكن هناك اعتراض يُذكر من هؤلاء العلماء الذين انتقلوا من المجاهرة بمعاداة الساميّة إلى الدعوات الحارّة للحوار مع دين واحد، فيما لا تزال عقائد الكراهية الدينيّة سائدة.

ولا تتضارب سرديّتها مع المصلحة الدعائيّة للنظام السعودي، لأنّ هوسها العدائي ينصبّ ضدّ النظام الإيراني. النظام السعودي هو ضحيّة علماء المملكة (كأنّ لهم سلطة مستقلّة) وشعوب المنطقة كلّهم ضحايا النظام الإيراني، فيما تعيش إسرائيل في المنطقة هادئة مسالمة مبتعدة عن مشاكل المنطقة. ورواياتها، كما معظم الكتب الغربيّة غير الأكاديميّة عن إيران، تحوي الكثير من الحنين لنظام الشاه. ويظهر الشاه في الكتاب وهو يستقطع مشاهد العنف والقتل - على يد نظامه هو - وتلوم المعارضة على عنف نظام الشاه (ص. 24).

وفي لبنان: تزعم أنّ حزب الله منع الأحزاب السياسيّة، والموسيقى والكحول عن جنوب لبنان. وهذا يكفي للحكم على صدقيّة المؤلّفة. وتقول إنّ الشيعة قاتلوا إسرائيل من أجل الله، فيما قاتل غير الشيعة إسرائيل من أجل الوطن (ص. 121). وهذه التصنيفات، خصوصاً من قبل أعداء حزب الله الطائفيّين منهم والعلمانيّين، رائجة هذه الأيام. كأنّ المؤمن عندما يقاتل محتلّاً يفقد وطنيّته بسبب إيمانه - فقط إذا كان على مذهب لا يحظى برضى إسرائيل وأصدقائها الكثر في النظام العربي الرسمي. كيف يمكن ذكر وتحليل صراعات العالم العربي، منذ عام 1948 إلى الآن، من دون ذكر إسرائيل وهي ضالعة بصورة مباشرة، في كلّ منها؟ هل هناك صراع أهلي أو بين دولتين لم تكن إسرائيل شريكة فيه، لطرف ضدّ آخر؟ هل هناك صراع لم تؤجّجه إسرائيل؟ من جنوب السودان إلى شمال العراق إلى الحرب الأهليّة اللبنانيّة إلى المغرب وإلى الحرب السوريّة؟ بات الإعلام الإسرائيلي يعترف بتدخّلات إسرائيل في الشؤون العربيّة، فيما يقوم إعلام طغاة الخليج، وأتباعه في الغرب، بنفي هذه التدخّلات.

باختصار، هذا كتاب لا يُعوّل عليه ويحاول أن يبني سرديّة دعائيّة لا أكاديميّة أو تاريخيّة للصراع الإقليمي الراهن الذي هو أيضاً صراع عالمي لأنّ أميركا ودول الغرب وأنظمة الخليج هي جزء منه، كما أنّ إسرائيل تلعب فيه دوراً أساسيّاً، ولم يبدأ هذا الدور فقط بعد إعلان التطبيع الرسمي. وليس هناك مجال لتعداد الأخطاء والأكاذيب والأضاليل في هذا الكتاب. وليس هناك من تسنيد أو توثيق للكتاب، فهو يعتمد على صحف الغرب وعلى مقابلات مع مسؤولي وصحافيّي النظام السعودي، أو مع عرب يعملون لصالح السياسات السعوديّة في المنطقة (وقد ذكرت أنّها قابلت ثلاثة أمراء سعوديّين، فيما لم تزر ضرورة لمقابلة مسؤول إيراني واحد). وبالرغم من حديثها عن حزب الله، فإنّها لم تتكرّث لسماع وجهة نظره واكتفت بإجراء مقابلة مع مسؤول سابق في حزب الله، بات جزءاً من المحور السعودي في المنطقة. لكنّ الكتاب يأتي ليمدّ الدعاية الصهيونيّة والسعوديّة بدعاية على مدى صفحات طويلة، وهي ستسرّ جيفري غولدبرغ، الجندي الإسرائيلي السابق الذي يرأس تحرير مجلّة «ذي أتلانتك» والمعجب بكتابات كيم غطّاس. لكنّ لبنان يزهو بمن «يصل» من أبنائه وبناته إلى إعلام الغرب. فليحتفل لبنان الرسمي بكيم غطّاس كما احتفل في السابق بمخرج لبناني يحمل أفلامه مضامين صهيونيّة.

* كاتب عربي
(حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

zahrawashere.tumblr.com

> **بالنسبة إلى شخص ينتمي إلى المنطقة ونشأ فيها فإن غطّاس جاهلة بالإسلام لا بل معادية له**

الصين في القرن الحادي والعشرين

نايف سلوم *

نعرض هنا أحد الكتب المهمّة، لجهة جمعه لهواجس النخب الأميركية تجاه الصين في عقدين (1979 - 1999)، حتى بزوغ القرن الواحد والعشرين، كما يشير إلى جميع المناقشات الأميركية بخصوص آفاق تطوّر الصين في القرن الواحد والعشرين وإمكانات التعاون - الصدام الأميركي الصيني، بما فيها خيار «فكّ الارتباط» مع الصين وقطع التعامل التجاري معها، والشروع في «حرب باردة» على طريقة الحرب الباردة مع السوفيات، بعد الحرب العالمية الثانية. كلّ ذلك يعكس القلق (والهاجس) الأميركي من صعود الصين وتصدّرها للاقتصاد العالمي.

الكتاب من تأليف: دانييل بورشتاين وأرنيه دي كيزا، ترجمة شوقي جلال، العدد 271، تموز/يوليو 2001 من عالم المعرفة - الكويت. الكتاب في 450 صفحة من القطع المتوسط.

العنوان الأصلي: Big Dragon: The Future of China: What It Means for Business, the Economy, and the Global Order Paperback – March 18, 1999

By Daniel Burstein, and Arne J.De Keijzer

يتمتع الكاتبان بخبرة أكثر من خمسين عاماً في السفر عبر أرجاء الصين والمشاركة في مشروعات الأعمال هناك. يقول المؤلّفان: يتحدّث هذا الكتاب عن أثر الصين مستقبلاً في الميزان الكوكبي للثروة والقوة، خلال القرن الحادي والعشرين. ونحن معنيّون، بوجه خاص، بكيفية التفاعل بين والولايات المتحدة والصين، ليس فقط خلال الأعوام القليلة المقبلة، بل وعلى مدى العقود الطويلة التالية. مثلما نحن معنيّون أيضاً بدلالة هذه التفاعلات بالنسبة للاقتصاد والأعمال والنظام العالمي.

ظهر الكتاب في لغته الأصلية الإنكليزية، عام 1999، على أثر أزمة النمور الآسيوية وانهيار عملاتها المحلية، وانهيار البورصات وأسواق الأسهم. واللافت هو القوة التقديرية والتنبؤيّة للكتاب، يقول الكاتبان: في تقديرنا إنّ الصين مهيّأة، إذا ما سارت الأمور رخاء كما هي الآن، لكي تصبح في حوالى العقد الثالث من القرن الواحد والعشرين أكبر اقتصاد قومي في العالم.

لقد بدا واضحاً، منذ عقدين (منذ 1979)، أنّ تدفّقات التجارة ورأس المال وما ينجم عنهما من قوة وثروة، أخذت في الانتقال من العالم القديم المتمركز حول الأطلسي، إلى عالم آخذ بالتطوّر باستمرار متمركزاً حول الباسيفيكي (نهاية الغرب وبداية الشرق). والشيء الذي أصبح أكثر وضوحاً، منذ عهد قريب جداً، أنّ الصين تحتلّ مكان القلب من هذا التحوّل الآسيوي.

في عدائها الطبقي للصين، تحاول الطبقة الرأسمالية الاحتكارية في الولايات المتحدة الأميركية أن تشكّل ما يُسمّى وعياً أقصى، وعياً يرتفع عن وعي واقع حال المشروعات والأعمال، في محاولة للتنبؤ بمستقبل تحوّلات الصين، خصوصاً أنّ هذه الطبقة تضع نفسها في موقع العداء الاستراتيجي لنهوض الصين التاريخي، مدرّعة بإمبراطورية من النخب السياسية والصحف ووسائل الإعلام والكتّاب والمستشارين. وقد توصّلت عبر هذا الوعي الأقصى، إلى افتعال أزمة النمور الآسيوية عام 1997، عبر سحب كلّ الاستثمارات الأميركية في سوق الأسهم والبورصات الآسيوية، خصوصاً بلدان النمور (هونغ كونغ، سنغافورة، تايوان، وكوريا الجنوبية)، ما أدّى إلى انهيار العملات المحلية في هذه البلدان، وقاد إلى أزمة مالية في بلدان جنوب شرق آسيا (أي في بلدان نطاق الصين: اليابان، كوريا الجنوبية، أندونيسيا، تايلند، هونغ كونغ، تايوان، سنغافورة، وماليزيا). كان المستهدف الأساس هو الاقتصاد الصيني، إلّا أنّه صمد ولم يتأثّر إلّا لماماً بالأزمة السالفة الذكر.

نقرأ في «التنين الأكبر»: والملاحظ أنه بعد خمس سنوات من البيان الذي أعلنه بيجس Biggs نكاد نجد من لا يزال يشعر بأقصى قدر من التفاؤل في رواج السوق بشأن الصين. لقد أصبح المزاج السائد الآن أقرب ما يكون إلى المزاج الذي عبرت عنه مجلّة «ذي إيكونوميست» في ردّها على بيجس: «أقصى حدّ من المضاربة بالصعود». أمّا عن بيجس نفسه، فإنّه مع خريف 1997 تحوّل إلى شخص فظ للغاية بشأن المنطقة، إلى حدّ أنه كان يُلمّح على العملاء أن يفرغوا حوافظهم (المالية) بالكامل من أسهم هونغ كونغ والصين. وقد كانت نصيحة شديدة الوضوح، وسط الأسباب العديدة لانهيار السوق الذي بدأ في هونغ كونغ في أواخر تشرين الأول/أكتوبر 1997، وانتشر من هناك انتشار النار في الهشيم إلى جميع أسواق العالم.

وعشية الكوابيس الاقتصادية والمالية العديدة، التي جثمت على آسيا مع مطلع عام 1998 - حيث تزايدت المضاربات على العملة، وانخفضت قيمة العملات بشكل قياسي، وماتت أسواق الأسهم، وترنّحت المصارف تحت وطأة جبال من الديون المعدومة، وخيّم شبح الانكماش على كلّ المنطقة - حيث أكد هنا خبراء كثيرون أنّ المسألة مسألة وقت فقط، حتى تغرق الصين هي الأخرى في كل هذه الأحداث السلبية التي سيطرت على الإقليم.

كانت الآمال الأميركية تتجه نحو تحويل الصين عبر الاستثمارات المباشرة، إلى ديموقراطية ليبرالية تدور في فلك الإمبريالية الأميركية. لكنّ حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر، ولا تفتأ الأصوات تتعالى داخل الكونغريس داعية إلى وقف التعامل التجاري مع الصين، عقاباً لها على خطاياها السياسية. وكاد الأمر يصل إلى مرحلة الخطر من حيث إمكانية موافقة الأغلبية في مجلس الشيوخ، عام 1997، على رفض معاملة الصين معاملة الدولة الأولى بالرعاية. وذاعت داخل الكونغرس مذكّرات متطرّفة، تطالب باعتبار الصين العدو القومي لأميركا. إنّ تشدّد ترامب وفريقه اليوم تجاه الصين، ليس من دون سابقة استراتيجية وتقليد شائع في السياسة الأميركية.

لقد أخطأ المتفائلون المفرطون في تفاؤلهم، إذ افترضوا أنّ الصين سوف تتطوّر بشكل «طبيعي» لتصبح مجتمعاً ديموقراطياً - ليبرالياً رأسمالياً.

وعلى الرغم من أنّ الصين ليست يقيناً مجتمعاً ديموقراطياً تماماً بالمعنى الأميركي للكلمة، إلّا أنّها بحق أكثر ديموقراطية من أيّ وقت في تاريخها على مدى خمسة آلاف عام، كذلك فإنّ أسواقها أكثر انفتاحاً للتجارة والاستثمار من بعض البلدان الأخرى في الإقليم. ومع هذا كله، تعامل الولايات المتحدة الصين، اليوم، معاملة تنطوي على قدر من الامتهان أكثر من السابق، وتُدرج واشنطن بكين ضمن حوارات المستوى الأدنى للزعامات.

قد نجد على امتداد الطريق الإيجابي البنّاء لحركة تقدّم الصين، إجابة عن السؤال الخاص: أين ستحصل البلدان المتخلّفة في العالم على قوى الدفع لطاقاتها ونموّها، خلال النصف الأول من القرن الواحد والعشرين؟ خاصة أنّها جميعها تقريباً تملك اقتصادات بطيئة النمو وزيادة سكانية سريعة.

* كاتب وباحث سوري

تقرير

أوروبا تغيّر جلدها: تعديل الاتفاق النوويّ... لمصلحتنا

جاهر وزير الخارجية الألماني، هايكو ماس، بمالم يعلنه جو بايدن نفسه، لجهة ضرورة تعديل الاتفاق النووي مع إيران بما يصبّ في «مصلحتنا». يسعى الأوروبيون، ومن خلفهم الرئيس الأميركي المنتخَب، إلى أن يستفيدوا قدر المستطاع من متغيّرات أرساها دونالد ترامب، لمحاولة تغيير مضمون أيّ اتفاق جديد حول البرنامج النووي الإيراني، عبر ربطه بذاك الصاروخي

وليد شرارة

أوّل ما بلفت في الموقف الصادر عن وزير الخارجية الألماني، هايكو ماس، في مقابلته مع «دير شبيغل» عن ضرورة تعديل الاتفاق النووي مع إيران، هو التوقيت الذي اختاره

> **باتت الظروف مواتية لتبنّي استراتيجية غربيّة موحّدة في مواجهة إيران**

لذلك. فماس، الذي اعتبر أن «العودة إلى الاتفاق الحالي لن تكفي»، وأنه ينبغي «أن يكون هناك نوع من الاتفاق النووي مع إضافات، وهو أمر يصبّ في مصلحتنا أيضاً»، أدلى بهذا الكلام في سياق ارتفاع حدّة التوتر إلى مستوى جديد بين التحالف الأميركي - الإسرائيلي من جهة، وإيران من جهة أخرى، بعد اغتيال العالم محسن فخري زاده. هو تزامن أيضاً مع تأكيدات الرئيس الأميركي المنتخَب، جو بايدن، لـ«سي إن إن»، أنه «لن يسمح لإيران بحيازة أسلحة نووية»، ومع توعّد وزير الاستخبارات الإسرائيلي، إيلي كوهين، كل مَن لديه دور فاعل في المشروع النووي الإيراني بالموت. صدور هذه المواقف في السياق المشار إليه، وفي وقت واحد، يشي بالتناغم بين أصحابها. نحن أمام تقسيم عمل واضح، تقوم فيه إسرائيل بدور «العصا الغليظة»، بينما تحاول إدارة بايدن والأوروبيون الانطلاق من الوقائع المستجدّة الناجمة عن سياسات ترامب لمحاولة تغيير مضمون أيّ اتفاق جديد حول البرنامج النووي الإيراني، عبر ربطه بذاك الصاروخي.

ارتبط اسم وزير الخارجية الألماني، هايكو ماس، بما اعتقده البعض توجّهاً أوروبيّاً للاستقلال عن الولايات المتحدة. الرجل لم يتردّد، في مناسبات عدّة، عن توجيه نقدٍ حادّ إلى دونالد ترامب، والردّ على تصريحاته الاستفزازية حيال الأوروبيين، والدعوة إلى اعتماد الأخيرين على النفس في مجال السياسة الدفاعية وعدم التعويل على استمرار الحماية الأميركية. ولو فاز دونالد ترامب بولاية ثانية، فإن العلاقات الأوروبية - الأميركية كانت ستشهد المزيد من التدهور والتأزّم إلى درجة قد تدفع بعض الأطراف الحاكمة في القارة العجوز، مكرهةً، إلى اتخاذ خطوات أكثر جدية نحو سياسة دفاعية وخارجية متمايزة عن تلك الأميركية. هذه الأطراف تنفّست الصعداء بعد انتصار بايدن، وأكّدت تمسّكها بالعروة الأطلسيّة الوثقى، كما جاهر وزيرا خارجية فرنسا وألمانيا في مقالة مشتركة نُشرت في «لوموند». إبراز وحدة المعسكر الغربي في مواجهة القوى الصاعدة غير الغربية على المستوى الدولي، كروسيا والصين، وعلى المستوى الإقليمي، كإيران وتركيا، هو بين ثوابت غالبية نخب الغرب الأورو - أميركي، خاصة مع تسارع ضمور هيمنته ونفوذه. إصرار هايكو ماس على أن لأوروبا «مصلحة» في إدخال إضافات على الصيغة الأصلية للاتفاق النووي يتعلّق أساساً بإدخال ملاحق خاصة بالبرنامج الصاروخي الإيراني وضرورة الحدّ من تطوّره، يُظهر وجود إجماع بين قطاع عريض من نخبها، مع تلك الأميركية، على ضرورة وقف التحوّل التدريجي في موازين القوى، الناجم عن تطوّر الترسانة الصاروخية للجمهورية الإسلامية وحلفائها، لغير مصلحة إسرائيل التي تمثّل حجر الزاوية في منظومة الهيمنة الغربية على الإقليم.

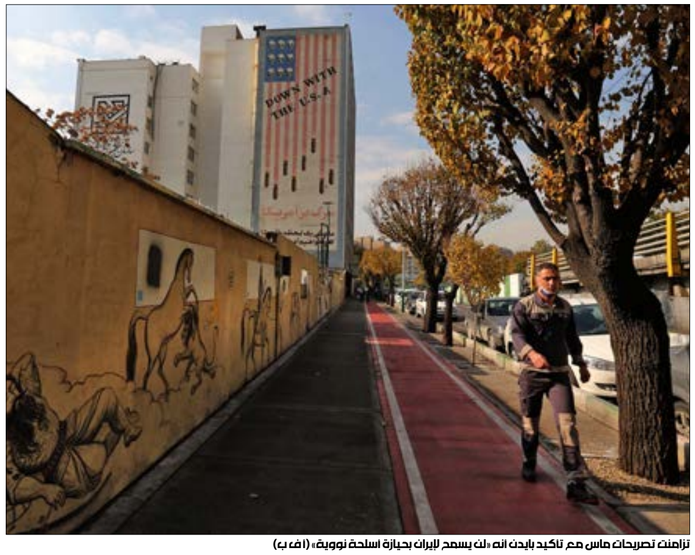

تزامنت تصريحات ماس مع تأكيد بايدن أنه «لن يسمح لإيران بحيازة أسلحة نووية» (أ ف ب)

إضافةً إلى ذلك، فإن إسرائيل، التي قام هايكو ماس بزيارتها بعد تسلّمه منصبه سنة 2018، ليبلغ رئيس وزرائها وقوف بلاده «الأبدي» إلى جانبها، تمثّل بالنسبة إليه، وإلى العديد من السياسيين الألمان والأوروبيين، قطباً استراتيجياً وعلمياً وتكنولوجياً لا بد من تعميق الصلات معه. قد يكون من المفيد التذكير بـ«التدفّق العاطفي» الذي شهده البرلمان الألماني خلال الاحتفال بالذكرى السبعين لإنشاء الكيان الصهيوني، عندما تبارى قادة أحزاب اليمين واليسار في نظم قصائد العشق والولاء للدولة «المعجزة». فهذا مارتن شولتس، من «الحزب الاجتماعي الديمقراطي»، يقول: «عندما نحمي إسرائيل، نحمي أنفسنا»، لتضيف من بعده كاترين غورينغ إيكارد، من «حزب الخضر»، أن «حقّ إسرائيل في الوجود يوازي حقّنا». وأفق وزير الخارجية الألماني أن يجهر بصوت عالٍ بما لم يعلنه بايدن. الظروف باتت ملائمة اليوم، بنظر صنّاع القرار في عواصم الغرب، بعد وصول المرشّح الديمقراطي إلى سدّة القرار، لتبنّي استراتيجية موحّدة في مواجهة إيران، تكون أكثر فعّالية وتأثيراً من تلك التي اتبعها ترامب، وتفضي إلى تفاهمات معها، بعد تحجيم قدراتها ونفوذها. بطبيعة الحال، يتناسى جميع هؤلاء أن دولهم، حتى لو تفاهمت، لن يمكنها بعد الآن التحكّم بمصائر عالم برز فيه لاعبون وازنون آخرون يمكنهم، من جهتهم أيضاً، التوصل إلى تفاهمات للتعاون دفاعاً عن أمنهم ومصالحهم.

تقرير

الكونغرس يفخّخ صفقة «إف 35» لأبو ظبي: تفوّق إسرائيل ... أوّلاً

تستمر مساعي الكونغرس الأميركي الهادفة إلى وضع عراقيل تحول دون إتمام صفقة طائرات «إف 35» التي خصّصتها إدارة الرئيس دونالد ترامب، لـ«الإمارات، ضمن سلّة اتفاق التطبيع مع إسرائيل. مساع يقودها ديمقراطيو مجلس الشيوخ الأميركي بعيداً من أدبيات «حقوق الإنسان» الملازمة عادةً لتحركات مشابهة، إذ يعارض هؤلاء ما يعتبرونه عمليّة متسرّعة لتمرير الصفقة البالغة قيمتها 23 مليار دولار قبل انتهاء ولاية إدارة ترامب، بسبب خشيتهم أن تؤثّر على التفوّق العسكري النوعي لإسرائيل في المنطقة.

وتشير التقديرات إلى احتمال أن يصوّت مجلس الشيوخ الأميركي ذات الغالبية الجمهورية، الأسبوع المقبل، على مشروع قانون لعرقلة الصفقة. لكن تمرير النصّ سيحتاج إلى دعم من أعضاء حزب ترامب، الذين نأدراً ما يخالفون توجّهات رئيسهم، من أجل إقرار التشريعات وتجاوز حقّ النقض (الفيتو) الذي من المتوقّع أن يلجأ إليه ترامب لتعطيل القرار. الحراك الآنف، أطلقه السناتوران الديمقراطيان بوب مينينديز وكريس مرفي والسناتور الجمهوري راند بول، في 18 تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، حين أعلنوا اعتراضهم طرح تشريعات تسعى إلى وقف الصفقة التي تشمل ما يصل إلى 50 مقاتلة من طراز «إف-35» تنتجها شركة «لوكهيد مارتن» للصناعات العسكرية، إلى جانب 18 طائرة مسيّرة من طراز «إم كيو 9» وحزمة ذخائر لصواريخ جو-جو وجو-أرض. ويخشى هؤلاء أن تشكّل الصفقة «تهديداً جديداً للقوّات الأميركية، أو أن تقوّض التفوّق العسكري الإسرائيلي في الشرق الأوسط».

وعلى رغم أن الإدارة الأميركية تنفي أن تكون صفقة الأسلحة تلك بمثابة «مكافأة» لتطبيع الإمارات علاقاتها مع إسرائيل، إلا أنها، في الوقت نفسه، لا تنكر أن الموافقة عليها تتصل بمبادرة «السلام». بل إن وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، ربط بين الأمرَين بشكل مباشر حين قال، أخيراً، إن «اتّفاق الإمارات التاريخي حول تطبيع العلاقات مع إسرائيل يوفّر فرصة لا تتكرّر لإحداث تحوّل في المشهد الاستراتيجي للمنطقة»، مؤكداً أن صفقة التسليح المحتمل إنجازها ستجعل أبو ظبي أكثر قدرة وقابلية للعمل المتبادل مع حلفاء الولايات المتحدة، بطريقة تتوافق بالكامل مع التزام واشنطن الطويل الأمد تجاه ضمان التفوق العسكري النوعي لإسرائيل. ومنذ السبتينيات، تحافظ الولايات المتحدة على سياسة «التفوق العسكري النوعي» أو «الميزة العسكرية النوعية» التي بموجبها تضمن واشنطن امتلاك إسرائيل أفضل المعدات العسكرية في المنطقة. وبعد تمريرها في الكونغرس، أصبحت هذه «الميزة»، قبل عامين، قانوناً يوجب على أميركا أن تضمن بموجبه - عندما تبيع أسلحة لأيّ دولة في المنطقة - بقاء حليفتها في وضع يمكنها من الدفاع عن نفسها إذا وقعت هذه الأسلحة في الأيدي الخطأ.

وبإعلان زعيم الأقلية الديمقراطية في مجلس الشيوخ، تشاك شومر، دعمه جهود وقف الصفقة، يكون جميع أعضاء المجلس الديمقراطيين من دون استثناء تحالفوا لتعطيلها. إجماعٌ رافقه تأييد عدد آخر من الأعضاء الجمهوريين، بالإضافة إلى ائتلاف مكوّن من الجماعات الحقوقية المناهضة للحرب في اليمن وانتهاكات حقوق الإنسان التي تُتهم الإمارات بارتكابها. وتعليقاً على الحراك المتصاعد في الكونغرس، ردّت الإمارات عبر سفارتها في واشنطن، إذ تنصّلت، في بيان، من أيّ انتهاكات ترتكبها أبو ظبي في اليمن «كونها انسحبت من الحرب ولم تعد طرفاً فيها». ودافعت السفارة عن قرار شراء مقاتلات «إف 35»، بقولها إن «الإمارات تحتاج إلى مقاتلات من الجيل الخامس متعدّدة الأدوار لحماية البلاد وتعزيز مصالح الأمنية المشتركة للولايات المتحدة وأصدقائها في الشرق الأوسط»، معتبرةً أن «بيع الطائرات يتماشى تماماً مع استراتيجية الدفاع الوطني الأميركية الداعية إلى تمكين الشركاء من تحمّل المزيد من المسؤولية عن أمنهم الخاص والجماعي في الشرق الأوسط». ولفتت أيضاً إلى أن إسرائيل «وافقت على التطمينات بأن الولايات المتحدة ستحافظ على التفوق الأمني لتل أبيب في الشرق الأوسط لعقود قادمة».

(الأخبار)

تحتاج الإمارات إلى مقاتلات «إف 35» لـ«تعزيز المصالح الأمنية المشتركة لأميركا وأصدقائها» (أ ف ب)

> **يخشى ديمقراطيّو مجلس الشيوخ أن تقوّض الصفقة تفوّق إسرائيل العسكري**

وجهة نظر

البحرين
حتى لا نغرق في الوهم

علي مشيمع*

منذ أن تقلّد سلمان بن حمد، رسمياً، منصب رئاسة الوزراء، خلفاً لعمّه الذي وافته المنية في العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، اشتعلت وسائل التواصل الاجتماعي على المستوى الداخلي في البحرين، لاستشراف العهد الجديد لمنصب شغره خليفة منذ عام 1971، وكان محمّلاً بسياسة كأداء تجرّع غصصها المواطنون جيلاً بعد آخر. لوحظ بروز مدوّنين وكتاب يبشّرون بتحسين الأوضاع على يَد سلمان بن حمد، وذهب بعضهم بعيداً في إعطاء جزم، بطرق غير مباشرة، عن فرص «الإصلاح» القادمة. وفي غمرة «الهرج» المتداول، حدّد بعضهم لسلمان الخطوات التي يجب أن يشرع بها، عبر البدء بإطلاق سراح المعتقلين على مراحل تدريجيّة، تمهيداً للدخول في مفاوضات وحوار مع المعارضة!

تطوّع أصحاب هذا الطرح بسرد «التحليلات» وإطلاق الأمنيات في الفضاء الإلكتروني. كل هذا حدث وابن حمد يخيّم عليه صمت القبور، دون أن يبدي أيّ تفاعل أو اهتمام، حيث كان منشغلاً في إنجاح ترتيبات انعقاد سباقات «الفورمولا 1» في البحرين، وتثبيت العلاقات مع الكيان الصهيوني. وعوضاً عن تراجع تلك «التحليلات»، سلّت الأقلام من أغمادها وألقت اللوم على المعارضة تارة، وأطلقت نعوت الفشل على المعارضين غير المستبشرين بسلمان تارةً أخرى. وحتى لا يقال إن غير المستبشرين بسلمان لا يملكون رأياً واضحاً، فإن هذا المقال يفنّد الإشكالات التي طُرحت أخيراً.

يبرّر المستبشرون في تحليلاتهم أنهم يتعاملون بما يتطلّبه الواقع، وهو الذي يأمر به العقل والحكمة. وتستخدم ورقة المعتقلين والضحايا بوصفها سبباً رئيساً يدفعهم إلى البحث عن أي مخرج، وبأقل الخسائر، ينهي المعاناة المستمرة لعائلات هؤلاء. كما يتم التذرّع بزعم أن المعارضة لم تحرز تقدماً على مدى السنوات العشر الماضية، وأنه لا يوجد مؤشر إلى أيّ تغيير إيجابي في أدائها في المستقبل المنظور. أخيراً يقول هؤلاء: لماذا لا تمنحون سلمان الفرصة، فمن الخطأ والظلم الحكم على سياسته قبل تجربته! للردّ على تلك الشبهات، نطرح الحقائق التالية لإجلاء الغمامة التي ربما شوّشت نظر البعض. ونستهلّها بالردّ على الإشكالية التي تقول: لنجرّب!

- أولاً: وجّه سلمان أوّل ضربة للجمعيات السياسية لإفشال مشروع العريضة الشعبية التي كانت تطالب بالإصلاح الدستوري في عام 2004. في ذلك الوقت، كان يحضّر لاستضافة سباقات «الفورمولا 1» للمرّة الأولى في البحرين، بينما كانت الجمعيات تعدّ لتدشين العريضة الشعبية. حينها، أرسل مبعوثه وطلب من الجمعيات السياسية إيقاف العريضة، واعداً إيّاها بالدخول في مفاوضات من أجل إصلاح الأمور. ولما استجابت الجمعيات كبادرة حسن نيّة، حتى تفاجأت، بعد انتهاء سباقات «الفورمولا 1»، بتهديد وزير العمل آنذاك، سيد مجيد العلوي، بعدم السماح لها بتدشين عريضة شعبية، بحجّة أن الموقّعين يجب أن يكونوا أعضاء رسميين في الجمعيات.

- ثانياً: تولّى سلمان منصب مجلس التنمية الاقتصادية، وهو من المشاريع الرئيسة التي كانت تهدف إلى سحب البساط من تحت أقدام عمّه خليفة. المهم أننا لم نرَ من ذلك المجلس مردوداً على المستوى المعيشي للمواطنين، بل على العكس من ذلك؛ توسّعت، منذ ذلك الحين، مشاريعُ طمر البحر، وتضخّمت ثروة سلمان من خلال فتحه للاستثمارات في الجزر والسواحل التي حوّطها واستولى عليها.

- ثالثاً: يتقمّص سلمان دور الرجل الطيب والمتفهّم والمنفتح على النقاش، ويتكامل هذا الدور مع الوجه الآخر الذي يبدي الغلاظة والقسوة في التعامل، وهي سياسة العصا والجزرة كما يُعبر عنها. وهذا ما حدث في عام 2011 بعد تفجّر الثورة، إذ خرج سلمان يتحدّث بلغة الرجل «الناصح الأمين»، وأجرى اتصالات

> **سيلجأ النظام إلى إطلاق سراح المعتقلين متى ما شعر أن ذلك يصبّ في مصلحته**

يتناسى البعض أن سلمان يُعدّ من أقدم المنظرين والمتحمّسين لمشاريع الخيانة

مع الجمعيات السياسية، وغازل المتظاهرين في الدوار، و... في تلك الأثناء، كان النظام - وبمعرفة من سلمان - يخطّط للانقضاض على المعتصمين وارتكاب الفظائع.

- رابعاً: يتناسى البعض أن سلمان يلعب دوراً رئيساً في مشاريع خطيرة على السلم الأهلي والقومي والنسيج الاجتماعي، إذ يُعدُّ من أقدم المنظّرين والمتحمّسين لمشاريع الخيانة بالتطبيع والارتماء، في حضن الصهاينة.

- خامساً: لم يكن سلمان يشتغل بائعاً للخُضر في السنوات العشرين الماضية! فهو يصدر قرارات ويدير مشاريع، ويوجّه أجهزة الدولة، ويقوم بعقد صفقات تسليح، ويجري مباحثات تجارية وسياسية مع دول أجنبية. وعليه فلا يصحّ القول إنه كان معزولاً، ولم يكن بيده فعل شيء، بل هو أداة وعنصر رئيس في التأزيم، والفارق أنه كان يؤدي ذلك بلباس أنيق. وخلال السنتين الأخيرتين، وتحديداً بعد تعيينه نائباً لرئيس الوزراء، تولى شؤون الرئاسة في ظلّ تراجع الوضع الصحي لعمّه، وسحب صلاحياته بشكل تدريجي قبل أن توافيه المنية.

- سادساً: يشكّل تعيين سلمان لمنصب رئاسة الوزراء، في حدّ ذاته، رسالة واضحة من الحكم، مفادها بأن «السلطة في يدنا والشراكة السياسية أمر غير وارد بالمطلق». وعليه، فإن الأماني التي يمكن أن ينشدها المواطنون هي معالجة بعض الملفات الخدمية، وأقصى طموح مُتاح هو انفراجات أمنية، ولكن من دون أيّ حلّ سياسي حقيقي.

- سابعاً: من السذاجة الاعتقاد بأن سلمان يمتلك مفاتيح الحلّ والعقد في البحرين، فلقد فرض نظام عائلته باستلاب سيادة البلد، منذ أن فتح الباب على مصراعيه للجيوش الأجنبية، وأصبح مرتهناً للمساعدات المالية المقدّمة من دول الخليج، وأخيراً الارتهان للكيان الصهيوني. فلم يعد في إمكان آل خليفة اتّخاذ أيّ قرار، حتى ولو كان في الشأن الداخلي، دون أن يحظى بمباركة من داعميه.

وعلى رغم وجود الشواهد والإشكالات التي تدور حول سلمان أو أيّ شخص يتقلّد منصب رئاسة الوزراء في ظلّ نظام آل خليفة القائم على الحكم الشمولي، يتمّ تداول ملف السجناء، ويدفع الكثير في اتجاه العمل على رفع معاناتهم على أقل تقدير. لكنّ البعض يبرّر، في سبيل ذلك، استخدام لغة الاستجداء والاسترحام ليتفضّل، بعد ذلك، رئيس الوزراء بمكرمة أميرية ويعفو فيها عن السجناء!

ومع التأكيد على أهمية ملف السجناء، ووجوب العمل على تحريرهم، وتقديم العون المادي والمعنوي لعائلاتهم، إلّا أن ذلك بالتأكيد ليس مبرّراً لإراقة ماء الوجه والظهور بصورة المذنب المستغفر الذي يطلب العفو والرحمة من سلمان! المسألة لا بدّ أن تكون حاضرة أثناء الحديث عن المعتقلين هي أن هؤلاء الأحبة دخلوا السجن لأنهم كانوا يريدون أن يكونوا كرماء، وأن يشعروا بإنسانيتهم في وطنهم، وهم سجناء أبرياء، ومن الظلم في حقّهم وفي حقّ ملف معاناتهم أن يقوم أحدهم، أياً كان، وبعد كل هذه السنوات، ليقلب الحقائق ويُظهرهم بصورة المجرمين، ويُظهر الجلاد بصورة الأمير المتفضل الرحيم. ففي ذلك جريمة أخرى وظلم مضاعف.

لست أشكّك في أن النظام سيلجأ إلى إطلاق سراح المعتقلين متى ما شعر أن ذلك يصبّ في مصلحته، دون الحاجة إلى أيّ مناشدة. فبإمكانه أن يستخدم قانون «العقوبات البديلة» ليظهر أنه المبادر، أو يعنونها بمنح فرصة للمعتقلين ليُقال إنه نظام إنساني ورحيم، وغيرها، لكنّنا لسنا مضطرين لأن نعطيه ثمناً أو اعترافاً باطلاً، هو لم يطلبه أصلاً. وفي ظلّ وجود تحليلات توحي باحتمالية إطلاق سراح بعض السجناء، فمن المهمّ لفت الانتباه، هنا، إلى أن هذا الأمر إنْ حدث، فهو بالتأكيد لا يُعتبر حلاً حقيقياً أو انتقالاً سياسياً نحو التغيير المنشود. فمجرد إطلاق سراحهم، لا يوفر ضمانة بعدم إعادة اعتقالهم من جديد؛ إلّا إذا تلازم ذلك مع تغيير سياسي جدّي، وهو ما لا توجد له بوادر كما أشرنا آنفاً. بالعودة إلى أصل الموضوع، نجدّد التذكير بأهداف الثورة التي تفجّرت في عام 2011، حيث الحاجة ماسة إلى تنشيط الذاكرة، حتى ترتسم من جديد أمام أنظارنا الجرائمُ التي ارتكبها النظام، لنصل بعد ذلك إلى نتيجة بديهية يدركها الجاهل قبل العاقل، وهي أن ما قدّمه الشعب من تضحيات لا يجوز بيعه بثمن بخس، أو أن يتم نكرانه والتغاضي عنه. كما أن تجاربنا التاريخية تعلّمنا دروساً مهمّة للغاية، أبرزها خطأ العودة إلى المربع الأول بالقبول بالحلول الشكلية أو الترقيعية أو التنازل عن المطالب. وتاريخ البحرين يُظهر لنا أن سبب نشوب التظاهرات والتضحيات في كل عقد، هو بسبب الأخطاء التي وقعت فيها القيادات بقبولها بمثل تلك التخريجات القاتلة.

* ناشط سياسي بحريني

على الغلاف

يوماً إثر يوم، تقترب قوات صنعاء من إسقاط آخر معاقل التحالف السعودي ـ الإماراتي في الجبهة الشرقية من اليمن، والمتمثّل في مدينة مأرب، بعدما باتت في ضواحيها. تقدّم كبير يوازيه تكثيف الاتصالات مع المشائخ والوجهاء بحثاً عن مخرج سلمي، وتقابله حالة انهزام في صفوف المعسكر الموالي لـ«التحالف»، حيث عمليات الفرار المتواصلة من المدينة، والانسحابات السعودية المتتالية من أبرز المعسكرات المحيطة بها. هذا المشهد ليس إلا حلقة أخيرة في مسلسل بدأ منذ مطلع العام الجاري، تمكّن في خلاله الجيش اليمني و«اللجان الشعبية» من استعادة مساحات شاسعة كانا قد خسراها في تلك الجبهة، حيث استطاعت القوات الموالية لـ«التحالف» فتح ثغرة تُهدّد من خلالها العاصمة صنعاء بشكل مستمرّ. أمّا اليوم، فقد انقلبت الصورة تماماً: صنعاء أصبحت آمنة بشكل تامّ من أيّ هجمات خارجية وهي الآمنة أصلاً من الداخل، والجوف لم تعد خاصرة ضعيفة كما في الماضي، فيما مأرب المدينة على وشك السقوط، الذي سيستتبع حتماً سقوط المنشآت النفطية والغازية المحيطة بها، بما يتيح سحب ورقة تجويع اليمنيين من يد «التحالف». أمّا إذا اختار الأخير الانتقام من صنعاء، عبر قصف تلك المنشآت، فلن يكون الردّ إلّا بالمثل، من خلال تصعيد الهجمات الجوية على المنشآت الحيوية السعودية، وإعادة تفعيل جبهة الحدّ الجنوبي، وفق ما تؤكّد مصادر مطّلعة

صنعاء ما بعد مأرب: هنا الحصن السبئي الكبير

دعاء سويدان

كثيرة هي المعارك التي خلّدها التاريخ. بعضها دخلته بوصفها محورية؛ غيّرت مسارات وبدّلت مصائر؛ وأخرى ولجته من بوّابة كونها الأغبى كما هي «معركة كارانسيبيس» التي قاتل فيها الجيش النمسوي نفسه، بينما كان من المفترض أن يحارب العثمانيين. أمّا معركة «تحرير صنعاء»، فلربّما تكون المَضحكة الأكبر في التاريخ العسكري. يكاد المتتبّع لمسارها لا يعثر، أصلاً، على النقطة الصفر لانطلاقها من كثرة ما أُطلقت على مرّ سنوات. من «قادمون يا صنعاء»، إلى «نصر 1»، ثم «نصر 2»، وصولاً إلى «نصر 3»، كان «تحرير صنعاء»، بالنسبة إلى التحالف السعودي ـ الإماراتي، «مسألة وقت»، مثلما ردّد كثيراً الناطق السابق باسم «التحالف»، أحمد عسيري. على أن مسألة الوقت هذه ظلّت عصيّة على التحقّق طوال أربعة أعوام (ما بين 2016 و2019).

صحيح أن القوات الموالية لـ«التحالف» استطاعت السيطرة ـ على مراحل ـ على البوّابة الشرقية للعاصمة من جهة محافظة مأرب، والمُتمثّلة في مديرية نهم التي لا تبعد عن وسط صنعاء أكثر من 60 كيلومتراً، إلا أن هذا «الإنجاز» لم يُفِد السعوديين والإماراتيين سوى في اجترار «الانتصارات» في وسائل إعلامهم، وتقديم المهازل التي مَثّل «المراسلون الحربيون» لتلك الوسائل بطلها المطلق. «نحن هنا، أين أنتم؟»؛ عبارة اشتُهر بها أحد أبرز هؤلاء خلال تغطيته معارك نهم، حيث كان يتنقّل، والقيادات العسكرية التابعة للرئيس المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي، من تُبّة إلى تُبّة، مبشّراً بقرب «سحق الانقلابيين»، و«إعادة الشرعية»، و«استعادة اليمن إلى الحضن العربي». انطفأ صوت أولئك بما يُمثّلون، فيما بات معسكرهم محصوراً داخل مساحات محدودة من محافظة مأرب. أمّا «الانقلابيون» فاستطاعوا، خلال أشهر معدودة منذ مطلع العام الجاري، استعادة كامل مديرية نهم، والسيطرة على مساحات واسعة من محافظَتي الجوف ومأرب، حتى باتوا اليوم على أبواب مدينة مأرب، التي يبدو سقوطها، بالحرب أو بالتفاوض، قاب قوسين (بدأ مسلسل الانتكاسات، عملياً، أواخر 2018، مع تمكّن الجيش واللجان الشعبية من السيطرة على معظم مديرية صرواح في مأرب، كاشفَين بذلك ظهر القوات المناوئة لهما في نهم، وهو ما جعل صرواح تنال نصيباً كبيراً من القصف الجوي بلغ أكثر من 25 ألف غارة).

دائماً ما عزا «التحالف» المراوحة في معركة صنعاء إلى سببين رئيسيين: الحرص على أرواح المدنيين، والضنّ بأرواح العسكريين. سببان يستبطنان الكثير من التضليل الذي بات ملازماً للمنصّات الإعلامية السعودية ـ الإماراتية، وخصوصاً في ما يتعلّق بالحرب على اليمن. على مستوى الخسائر المدنية، أثبتت الرياض وأبو ظبي أنهما لا تحتاجان إلى معركة برّية كبرى حتى تُوقعا مجازر في صفوف العزّل، وما أرقام الضحايا الذين حصدتهم الغارات الجوية التي بلغت حتى عام 2019، 257 ألف غارة، إلا أوضح دليل على ذلك. أمّا السعي إلى تفادي الزجّ بعدد كبير من القوات البرّية، فتلك «كذبة» أخرى يراد من ورائها تمويه حقيقة العجز عن خوض هكذا غمار، والذي تجلّى نموذج مصغّر منه في معارك الحدّ الجنوبي، حيث لا يستطيع الجنود السعوديون الثبات أمام هجمات المقاتلين اليمنيين، فيما في الجوّ تكاد تكون الطائرات السعودية عمياء تماماً لولا السند المعلوماتي من الحلفاء الغربيين، ومع ذلك فهي تضرب خبط عشواء في معظم الأحيان.

لكن، حتى المقاتلون من القوى المحلية الحليفة، والذين لا يبدي «التحالف» أدنى اكتراث لحيواتهم، لم يفلح الزجّ بأعداد كبيرة منهم في الميدان، هو الآخر، في قلب المعادلة في صنعاء لمصلحة السعودية والإمارات. بدا هؤلاء، خلافاً لمقاتلي «أنصار الله»، أعداء لدودين للأرض التي يقاتلون عليها، جاهلين تضاريسها وخفاياها وسبل مؤالفتها، ولم تشفع لهم في ذلك محاولتهم استنساخ تجربة الحركة في توليد الحماسة في صفوف عناصرها. زاد الأمرَ تعقيداً فقدانُ الدافعية المشتركة لتحقيق الهدف. منذ البداية، ظهر أن كلّاً من الرياض وأبو ظبي تعزف على وتر منفرد. كان الهمّ الرئيسي، بالنسبة إلى الأخيرة، كيفية قضم النفوذ السعودي في الجبهة الشرقية، سواء عبر استمالة القبائل الموالية تاريخياً للمملكة، أو من طريق مناكفة حزب «الإصلاح» (إخوان مسلمون) الحليف التقليدي للرياض، أو من خلال محاولة إنشاء تشكيلات شبيهة بتلك التي بُنيت في الجنوب كـ«الحزام الأمني» و«النخبة الشبوانية» و«النخبة الحضرمية»، أو حتى عبر تنفيذ عمليات اغتيال وقصف ضدّ القيادات والقوات التابعة لهادي مثلما حدث في استهداف اجتماعات تضمّ وزير دفاعه غير مرّة. وعلى رغم أن الإمارات فشلت في انتزاع السيطرة على الجبهة المذكورة قبيل إعلان انسحابها من قاعدتها في مديرية صرواح في محافظة مأرب مطلع تموز/ يوليو 2019، إلا أن الخلافات بينها وبين

منذ البداية، ظهر أن كلّاً من الرياض وأبو ظبي تعزف على وتر منفرد

وكلاء السعودية خلّفت آثاراً مريرة على معسكرهما، حيث بات التشرذم والحقد وغياب الحافز العنوان الأبرز، إن لم يكن الوحيد. وهي سمات يضاعف تأثيراتِها استمرار أبو ظبي في مساعيها إلى تضييق الخناق على منافسيها، عبر رئيس الأركان الموالي لها، صغير بن عزيز، الذي لم يترك وسيلة لإضعاف «الإصلاح» إلا لجأ إليها.

على رغم كلّ ما تقدّم، لم ييأس «التحالف» من إمكانية النفاذ إلى صنعاء. راهَن في كانون الأول/ ديسمبر 2017 على أن يدفع انفجار الخلاف بين «أنصار الله» والرئيس الراحل علي عبد الله صالح نحو إسقاط العاصمة، لكن ذلك لم يحدث. وفي عام 2018، أخذته «الأحلام» إلى تصوّر إمكانية بلوغ صنعاء من خلال الحديدة، إلا أن رمال الساحل الغربي لم تثبت تحت قدميه. وفي عام 2019، أراد الوصول إلى هدفه هذه المرّة عبر إشعال فتن قبلية متنقّلة في محيط صنعاء (كما حدث في مديرية كشر، المعقل الرئيسي لقبائل حجور، في محافظة حجة)، غير أن الجيش و«اللجان الشعبية» سرعان ما تحرّكا لإخماد تلك الفتن وتأمين المناطق التي شبّت فيها.

هكذا، كانت صنعاء ـ الحصن، وفق ما تُترجم به تسميتها في اللغة السبئية، تزداد بعداً، عاماً بعد عام، عن الغزاة، إلى أن باتت اليوم في أمان مطلق.

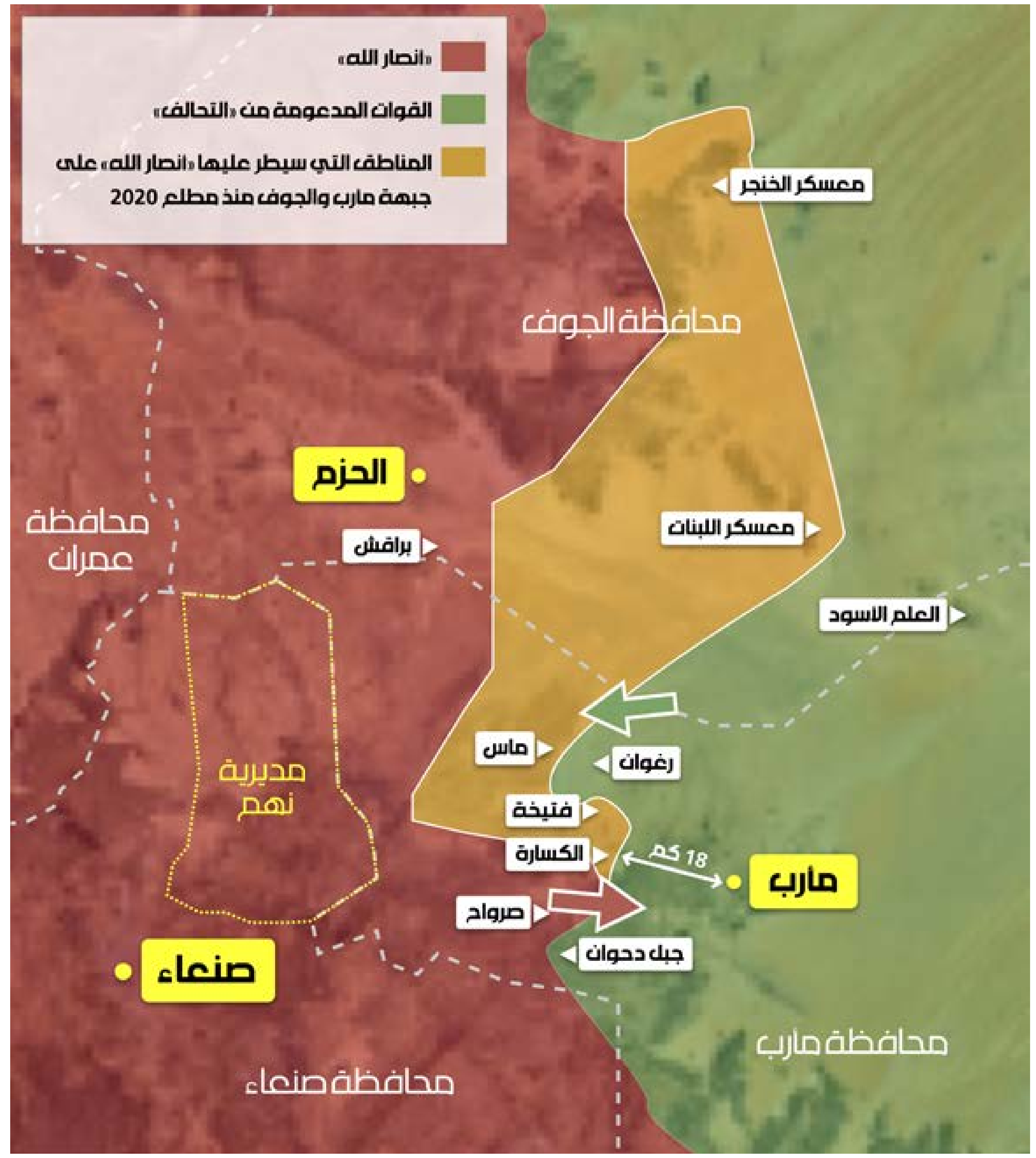

الوعد بدخول صنعاء على ظهر دبابة يتبخّر: مأرب تطرد الغزاة

رشيد الحداد

منذ مطلع حزيران/ يونيو الماضي، عاد التصعيد العسكري في جبهات مأرب إلى أعلى مستوياته، حيث استطاعت قوات صنعاء تحقيق إنجازات متتالية، تمثّلت في تقدّمها في تسع مديريات. وسيطر الجيش اليمني و«اللجان الشعبية» على مديريات العبدية والمأهلية ورحبة، ووصلا إلى حدود مركزَي مديريتَي الجوبة وجبل مراد جنوب مأرب في غضون أشهر. كما أمّنا مديريتَي صرواح ومجزر، واستكملا السيطرة على ما تبقّى من مديريتَي مدغل ورغوان غرب المدينة، وتقدّما باتجاه جبهات النضود والعلم شرق منطقة صافر النفطية. وفيما لا تزال المواجهات على أشدّها في عدد من جبهات جبل مراد وأطراف رغوان وبعض مناطق مدغل، يُسجّل تقدّم ملحوظ لقوات صنعاء في الأطراف الشمالية لمدينة مأرب، من اتجاه وادي نخلاء ومنطقة السحيل.

في ظلّ تلك التطوّرات، لم تعد مدينة مأرب جاذبة للقيادات العسكرية والمدنية والحزبية الموالية لحكومة الرئيس المنتهية ولايته عبد ربه منصور هادي، مثلما كانت قبل سنوات، بل أصبحت طاردة لهم، وخصوصاً بعد اقتراب الجيش و«اللجان» من محيطها من اتجاهات متعدّدة، وانهيار خطوط دفاع قوات هادي. وفي حين تمكّنت بعض القيادات من تأمين سكن لها في عواصم عربية وأجنبية، ولا سيما القاهرة والخرطوم وإسطنبول، غادرت أخرى المدينة التي كانت قد شهدت نهضة عمرانية كبيرة خلال السنوات الماضية متّجهةً نحو المحافظات الجنوبية، وخصوصاً شبوة وحضرموت والمهرة. أمّا القسم الثالث، ممَّن تركوا أسرهم في منازلهم في صنعاء قبل سنوات متوعّدين بالعودة على ظهر دبابة خلال أشهر حينذاك، فيتدارس الكثيرون منهم الاستفادة من قرار العفو العام الصادر عن «المجلس السياسي الأعلى» في صنعاء. وبفعل ذلك النزوح، انكمشت الحركة التجارية والاستثمارية في مأرب إلى أدنى المستويات.

ووسط مخاوف من سحب كمّيات كبيرة من العملات الصعبة من الداخل وتهريبها، وذلك بعدما أحبطت سلطات مطار القاهرة خلال الأشهر الماضية عمليات تهريب ملايين الدولارات من قِبَل قيادات عسكرية وسياسية مقرّبة من حكومة هادي أثناء محاولتها إدخال تلك الأموال إلى القاهرة، أفادت مصادر مطلعة في مدينة عتق في محافظة شبوة بنقل عدد من الاستثمارات التابعة لقيادات في حزب «الإصلاح» من مأرب إلى شبوة والمهرة خشية سقوط المدينة. وكانت الأشهر الفائتة قد شهدت، بالتزامن مع تجدّد المعارك، ركوداً في الحركتين التجارية والاستثمارية، وهبوطاً في أسعار العقارات جرّاء تراجع الطلب عليها، على عكس ما كان عليه الوضع قبل سنوات.

على خطّ موازٍ، علمت «الأخبار»، من مصادر مطّلعة في مدينة مأرب، أن قوات هادي بدأت بنقل مقارّ المناطق العسكرية الثالثة والسابعة والسادسة من مأرب إلى مناطق واقعة في نطاق محافظة شبوة، في وقت تجري فيه مشاورات لنقل مقرّ وزارة الدفاع أيضاً إلى منطقة العبر في محافظة حضرموت، بعدما أصبح تحت رحمة الضربات الصاروخية لقوات صنعاء، واقتراب الأخيرة من مركز المحافظة. كذلك، أفادت المصادر بأن قوات هادي تمارس تحريضاً كبيراً ضدّ الجيش و«اللجان» عبر منابر المساجد والمدارس، وتُخوّف التجّار من دخولهما المدينة، واصفةً إيّاهما بـ«المغول»، وداعية الناس إلى الالتحاق بالجبهات للتصدّي لهما. وهو ما دفع بمحافظ مأرب الموالي لصنعاء، محمد بن علي طعيمان، إلى طمأنة أبناء المحافظة، والتأكيد أن قرار الحسم صدر من القيادة.

وفي ظلّ التقدّم الكبير لقوات صنعاء في ضواحي مأرب، دعا عدد من المكوّنات الشبابية والشعبية، السلطة المحلية في المدينة وحكومة صنعاء، إلى حقن الدماء والتوصل إلى اتفاق ينهي الصراع، ويُجنّب مركز المحافظة، الذي يسكنه قرابة ثلاثة ملايين نسمة، منهم حوالى مليون نازح موجودون في 13 مخيماً، القتال، على أن تبقى السلطة المحلية الحالية تمارس عملها حتى يتمّ التوافق على منصب المحافظ. لكن تلك السلطة لا تزال ترفض الاستجابة لمبادرة صنعاء المكوّنة من تسعة بنود، مُلوّحة بحرب شوارع. وهي فرضت، منذ أيام، حالة طوارئ غير معلنة، ونشرت الآلاف من الجنود على أسطح المنازل وفي مداخل المدينة وفي الشوارع، في مشهد يعيد إلى الأذهان ما شهدته صنعاء قبيل سقوطها أواخر عام 2014 تحت سيطرة «أنصار الله». في المقابل، انتشرت في شوارع مدينة مأرب شعارات مؤيّدة لـ«أنصار الله» بشكل واسع، ما أثار حالة هلع في أوساط الجهات الأمنية التي اعتقلت عدداً من المواطنين على خلفية ذلك.

بدأت قوات هادي بنقل مقارّ مناطق عسكرية من مأرب إلى محيط شبوة (أ ف ب)

... «رجال الحرب والفزعة»

تحت ذريعة التعاون مع حركة «أنصار الله»، حاولت ميليشيات «الإصلاح»، في خلال الأعوام الماضية، إخضاع قبائل مأرب بالقوّة، فشنّت حملات أمنيّة ضدّ قبائل عبيدة وجهم والدماشقة، وقصفت مناطق آل سمرة وآل حتيك في العرقين قرب صافر النفطية، وفي الوادي خاضت حرباً غير متكافئة مع الأشراف وقبائل آل مثنى. تحت الذريعة نفسها، ارتُكبت جريمة إبادة أسرة آل سبيعان أواخر حزيران/ يونيو الفائت، بعدما رفض الشيخ محسن صالح سبيعان دعم قوّات تحالف العدوان، لتردّ ميليشيات «الإصلاح» بالهجوم على منزله وقتله مع ستة آخرين من إخوته وأبنائه. جريمةٌ أثارت استياء أبناء القبائل اليمنية، ووحّدت معظم قبائل مأرب والجوف وصنعاء وعمران ضدّ القوات الموالية لـ«التحالف» في المحافظة.

«الإصلاح» الذي تمكّن من الاستفراد بمحافظة مأرب، وتحويلها إلى معقلٍ رئيسي له في خلال السنوات الماضيّة، تجاهل إصلاح الأخطاء التي ارتكبت على يد ميليشيات موالية له في حقّ القبائل المأربيّة، ومضى على نهج النظام السابق في التعامل بالقمع والتهميش والإقصاء مع أبناء المحافظة؛ فمارس سياسات الترهيب ضدّ أبناء القبائل وتعامل بتوجّس مع الموالين لـ«التحالف»، متّهماً الكثير منهم بالتماهي مع قوّات صنعاء، وتعمّد الزج بهم في معارك خاسرة في عدد من محاور القتال في مديريات مأرب، ليدفع الكثير منهم إلى الانسحاب من جبهات العلم والنضود شرقاً، وجبهات الجوبة وحريب ورحبة جنوباً، وجبهة المخدرة وصرواح وحلحلان ورغوان ومدغل غرباً.

حكومة هادي وميليشيات «الإصلاح» التي تقاطرت إلى مأرب كقوّات نازحة، تمكّنت من تعزيز حضورها في المحافظة بمساندة أبناء القبائل. وبعد استحواذها على الدعم المالي والسلاح المقدّم من تحالف العدوان، انقلبت على هؤلاء. دفع هذا شيخ مشائخ قبائل عبيدة، محسن بن علي بن معيلي، إلى توجيه رسالة إلى زعيم «أنصار الله»، عبد الملك الحوثي، في آذار/ مارس 2018، هي عبارة عن عدد من أبيات الشعر، يطالبه فيها بإرسال قوات الجيش و«اللجان الشعبية»، بعدما ضيّقت ممارسات «الإصلاح» خيارات العيش الكريم للناس، مختتماً رسالته بالقول: «وأهل مأرب رجال الحرب والفزعة بعد هذا البلاء معاد أحد صابر».

مضى «الإصلاح» على نهج النظام السابق في التعامل مع أبناء مأرب

تعاملت صنعاء مع قبائل مأرب كأصحاب قرار كونهم سكان الأرض الأصليين، فقدّمت عروض سلام مقنعة، ومنحت هؤلاء الحقّ الكامل في إدارة شؤون المحافظة، بشرط عدم السماح لأيّ طرف من تحالف العدوان باستخدامها كمنطلق للعمليات العسكرية ضدّ الجيش و«اللجان الشعبية». وزاد ثقة قبائل مأرب بـ«أنصار الله»، اعتمادها على قيادات عسكرية ومدنية كبيرة تنحدر من المحافظة. ومنذ مطلع العام الجاري، بدأت عملية التواصل مع القبائل، وتم عقد لقاءات متعدّدة؛ أبرزها لقاء الحوثي مع زعماء قبائل مأرب أواخر نيسان/ أبريل الماضي، حين تم تسليمهم مبادرة سرعان ما وافقوا عليها. وبعدما وصلت أصداء المبادرة إلى الجانب السعودي، ردّت الرياض على مشائخ مأرب، بالتهديد والوعيد.

على رغم ذلك، استمر التواصل بين صنعاء وقبائل مأرب، إذ تمكّنت الأولى، عبر وساطات قبليّة، من إبرام عدد من الاتفاقيات مع قبائل كانت موالية لـ«التحالف» في مديريات رحبة والماهلية والجوبة ومراد ورغوان، سهّلت تقدّم قوات الجيش و«اللجان الشعبية» في عدد من مديريات المحافظة خلال الأشهر الماضية، كما عقدت قيادات عسكرية في صنعاء، على رأسها اللواء أبو علي الحاكم، رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية، عدّة لقاءات مع كبار مشائخ مأرب في الفترة بين حزيران/ يونيو وتشرين الثاني/ نوفمبر، استطاعت من خلالها تبديد المخاوف القبليّة من تقدّم قوات صنعاء، والاتفاق على التعاون في تحرير المحافظة من القوات الموالية للعدوان.

رشيد ...

اليمن

انهيار الريال في مناطق «الشرعية»: حكومة هادي تواصل ضرب العملة

فقد الريال اليمني 250٪ من قيمته خلال السنوات الخمس الماضية (أ ف ب)

لقمان عبد الله

تسارعت وتيرة انخفاض قيمة الريال اليمني، وسجّل انهياراً قياسياً في التعاملات ابتداءً من يوم الاثنين، في المحافظات «المحرَّرة». ووصل صرف الدولار الأميركي في العاصمة الاقتصادية، عدن، إلى 895 ريالاً يمنياً للبيع، و890 للشراء. أما في العاصمة صنعاء، فقد حافظ سعر الصرف على استقراره بـ 590 ريالاً مقابل الدولار، بسبب مجموعة إجراءات اتّخذتها حكومة صنعاء للحفاظ على استقرار العملة العام الماضي.

وعلى أثر انهيار العملة الوطنية في مناطق الاحتلال، دعت جمعية الصرافين في عدن جميع شبكات التحويل المالية المحلية، وجميع مالكي شركات الصرافة ومؤسسات ومنشآت وشبكات القطاع المصرفي في المحافظة إلى إغلاق محالّها، اعتباراً من أول من أمس. قرار الإغلاق الذي التزمت به محالّ الصرافة، انسحب على مدينة تعز أيضاً. وهذه ليست المرّة الأولى التي تغلق فيها المصارف ومحال الصرافة أبوابها، إذ إن جمعية الصرافين في عدن قرّرت في حزيران/ يونيو الماضي الإغلاق، بسبب عدم توصلها إلى اتّفاق مع البنك المركزي اليمني حول أسعار العملات الأجنبية، قبل أن تعاود فتحها، وسط مطالبات الجمعية لـ«المركزي» بالتدخل من أجل وضع حدّ لانهيار العملة. جدير بالذكر أن «برنامج الأغذية العالمي» التابع للأمم المتحدة أفاد، قبل أيام، بأن الريال اليمني فقد 250% من قيمته خلال السنوات الخمس الماضية، بينما ارتفعت أسعار السلع الغذائية بنحو 140%. وأكّد البرنامج الأممي أن الحياة اليومية تزداد صعوبة على الملايين من الأشخاص المحاصرين في الأزمة اليمنية، مشيراً إلى أن نطاق المساعدات الغذائية توسّع من مليون شخص إلى 13 مليوناً حالياً.

واتجهت حكومة هادي، منذ بداية الحرب، إلى طباعة كميات كبيرة من النقود من دون غطاء نقدي، لمواجهة أزمة السيولة، ما فاقم من أزمات الاقتصاد وتسبّب بمزيد من الانخفاض في سعر العملة المحلية. وعلى رغم مناشدات الخبراء الاقتصاديين بوقف طباعة الريال، لم تلقَ تلك الدعوات صدىً. الشيء الوحيد الذي فعلته حكومة هادي بأن عمدت إلى تغيير مكان إرسال الأموال إلى ميناء المكلا بدلاً من ميناء عدن بعدما تعرّضت شحنة من الأموال المرسلة إلى «المركزي» في عدن للسطو من قبل «المجلس الانتقالي الجنوبي»، وأفرج عنها في حزيران/ يونيو الماضي بعد تدخّل السلطات السعودية. ويوم الريال اليمني فقد 250% من قيمته خلال السنوات الخمس الماضية، بينما ارتفعت أسعار السلع الغذائية بنحو 140%. وأكّد البرنامج الأممي أن الحياة اليومية تزداد صعوبة على الملايين من الأشخاص المحاصرين في الأزمة اليمنية، مشيراً إلى أن من النشطاء للاعتصام أمام البنك احتجاجاً على إيداع تلك الأموال خزائن فرع «المركزي» في المكلا، وسط مخاوف من الأثر الكارثي لهذه المبالغ على الاقتصاد المحلي وقيمة العملة الوطنية في ظل استمرار ما يسمى الحكومة الشرعية انتهاج سياسة طباعة الأموال. هذه العملية ـ وما يتبعها من إصدار نقدي ـ ينتج منه ارتفاع في عرض النقود بالعملة المحلية، مع محدودية المعروض من النقد الأجنبي بسبب انخفاض التدفقات الواردة بالعملة الصعبة، وكذلك نتيجة لارتفاع الطلب على النقد الأجنبي من قِبَل التجار لتغطية فاتورة الاستيراد، ومن قبل المواطنين لعدم ثقتهم بالعملة المحلية وتوقعاتهم بانخفاض قيمتها.

وعلى رغم استمرار تدفق النقود الى المحافظات المحتلة، إلّا أن الرواتب لا تزال متوقفة عن الموظفين ـ المدنيين والعسكريين ـ منذ أكثر من ستة أشهر، وكذلك الموازنات العامة للوزارات والمؤسسات الحكومية الأخرى. ووفق المعلومات التي حصلت عليها «الأخبار»، فإن الكثير من مشاريع الاستثمار السياسي والإعلامي والأمني بالعملة الصعبة من قِبَل التحالف السعودي ـ الإماراتي قد توقّفت، باستثناء تغذية الحرب بين «المجلس الانتقالي الجنوبي» وحكومة هادي في محافظة أبين. والشيء ذاته ينطبق على الصراع القائم بين «الإصلاح» والفصائل المدعومة من دولة الإمارات في محافظة تعز. يذكر أن أهم مورد اقتصادي للخزينة اليمنية يدرّ أموالاً بالعملة الصعبة على خزينة الدولة هو النفط، ولا سيما حقول المسيلة في حضرموت. إلّا أن التصدير توقف في الأشهر الأخيرة على خلفية الصراع على حماية المنشآت النفطية وأنابيب النقل عبر ميناء الضبة النفطي في مديرية الشحر الساحلية في محافظة حضرموت بين النخبة الحضرمية الموالية للإمارات وحكومة هادي.

> اتجهت حكومة هادي إلى طباعة كميات كبيرة من النقود من غطاء نقدي

حكومة صنعاء، قبل عامين، تنبّهت إلى خطورة طباعة الريال واتّخذت قراراً، أواخر العام الماضي، منعت بموجبه تداول أو حيازة الأوراق النقدية التي طبعتها الحكومة الشرعية. وعلّل بيان «المركزي»، حينها، قراره بالقول إن تداول وحيازة تلك العملة يشكلان ضرراً على الاقتصاد الوطني. وتعقيباً على الانهيار الحاد للريال اليمني في المحافظات المحتلة، أوضح وكيل وزارة المالية لقطاع التخطيط في حكومة صنعاء، أحمد حجر، أن قيام قوى العدوان بالدفع بكميات كبيرة من النقد المحلي مقابل تهريب العملات الصعبة تسبب في انهيار الريال، مشيراً إلى أن قوى العدوان تحاول تعزيز الشرخ بين أبناء اليمن بالاعتماد على الفوضى الاقتصادية، فيصبح الارتزاق هو السبيل الوحيد للحصول على الدخل.

مصر

الإفراج عن حقـوقيّي «المبادرة»: هدية السيسي لـماكرون

تجري، حالياً، لعبة القطّ والفار بين النظام المصري وما تبقّى من النشاط الحقوقي. الأول يرغب في وجودهم، لكنه لا يستطيع منعهم بسبب الضغوط الخارجية، لتظلّ العلاقة بينهما قائمة على الشدّ والجذب

القاهرة ــ الأخبار

استبق النظام المصري زيارة الرئيس عبد الفتاح السيسي لفرنسا، بالإفراج عن الحقوقيين المحبوسين من «المبادرة المصرية للحقوق الشخصية» على خلفية النشاط الذي تمارسه «المبادرة»، وذلك بعد نحو ثلاثة أسابيع شهدت حالة من الشدّ والجذب في شأن وضعية «المبادرة» وترخيصها، في واحد من فصول السجالات المستمرة بين النظام والمنظمات الحقوقية بعدما لم يستطع ترويضها حتى اليوم. صحيح أن الباحث المصري، باتريك جورج، الذي يعمل في «المبادرة» ويدرس الدكتوراه في إيطاليا موقوف منذ شباط/ فبراير الماضي، ويجري تجديد حبسه بصورة شبه منتظمة، وآخرها قبل أسبوعين لخمسة وأربعين يوماً من دون توضيح الأسباب لفريق الدفاع عنه، إلا أن توقيف ثلاثة من أعضاء المنظمة الشهر الماضي بالتوالي، دفع إلى تصعيد انتهى بخروجهم على ذمة القضايا، لكن مع توقّع لمضايقات جديدة قريباً.

يأتي تعامل القضاء مع هذا الملف متساوقاً مع تدخلات النظام في المنظومة القضائية المباشرة. فالاتهامات التي جرى التوقيف بناءً عليها هي نفسها التي دُحضت كلياً بمستندات رسمية قُدّمت منذ سنوات إلى الجهات الرسمية للحصول على تصاريح بالعمل، وآخرها الطلب المقدّم في شأن توفيق الأوضاع طبقاً لقانون الجمعيات الأهلية وتعديلاته، بعدما اعتمد مجلس الوزراء اللائحة التنفيذية للقانون عقب شهور من المماطلة. لكن جزءاً من الضغط الرئيسي للإفراج عن الثلاثة، يعود إلى علاقاتهم الخارجية، سواء عبر الحقوقي المصري بهي الدين حسن المقيم في باريس هرباً من الملاحقات القضائية، مروراً بالزوجة الإنكليزية للمحامي كريم عنارة، التي شنّت ضغطاً عبر وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى الدور الذي قامت به بعض المنظمات كـ«العفو الدولية»، في حملة ضغط منهجي لم يستطع النظام الصمود في وجهها.

من جهة أخرى، عاد مؤسّس «المبادرة» ومديرها التنفيذي، حسام بهجت، الذي أعلن مغادرتها منذ شهور تحت وطأة الضغوط الأمنية، للظهور في الواجهة بصفته مسؤولاً عن الإدارة عقب توقيف جميع قياداتها، علماً بأنه ممنوع من السفر منذ أربع سنوات جزاء اتهامات مشابهة حول نشاطه الحقوقي، ما منعه من تسلّم جوائز دولية حصل عليها عن نشاطه الحقوقي والصحافي. وبينما استطاعت الدولة إجبار مدير «مركز القاهرة للدراسات»، بهي الدين حسن، على مغادرة «المحروسة» ثم خروج المركز من تونس وتنقل مؤسسه بين المدن الأوروبية، فإن «المبادرة المصرية» التي يعمل القائمون عليها على تدقيق تحركاتهم وأوراقهم لا يرغبون، بدورهم، في الرحيل تحت أيّ ظروف، ويقولون إنهم مستمرون في العمل من الداخل على رغم استمرار المضايقات.

> لم يصمد النظام أمام الحملة الخارجية لإخراج الموقوفين الثلاثة

في غضون ذلك، تباشر الأجهزة الأمنية حملات واسعة لمراقبة نشاط «المبادرة» والتضييق على المحامين الذين يتعاونون معها بصورة غير مسبوقة. لكن نتيجة هذه المراقبات لم تسفر عن اتهامات حقيقية، وخاصة مع استيفاء الأوراق اللازمة لدى الجهات الحكومية، الأمر الذي يحوّل المشكلة بين «المبادرة»، ومن خلفها داعموها في الخارج، وغالبيتهم حقوقيون مطاردون، وبين الدولة ممثلة في الأجهزة الأمنية والقضائية، إلى معركة قانونية على الأوراق التي يجب استيفاؤها كافة، وهو ما يعمل عليه المحامون في «المبادرة» بصورة منتظمة. في النتيجة، لم يبقَ في مصر سوى جهات محدودة تعمل خارج سيطرة الدولة ضمن المجالين الحقوقي والقانوني، وهذه «المبادرة» تحصل على دعم وتمويل مادي أوروبي وبرامج مختلفة تحظى برعاية من الجامعة الأميركية، ما يوفّر لها غطاء للعمل قانونياً في المجال البحثي من دون التعمّق في الجانب السياسي أو التحليلي. وثمة رهان لدى الحقوقيين المعارضين على السياسة التي سيتبعها الرئيس الأميركي المنتخَب، جو بايدن، تجاه مصر، في موازاة مراقبة ما إذا كان سيكتفي بالضغط عبر التصريحات الدبلوماسية بلا تحوّل فعّال في السياسة الأميركية تجاه القاهرة بما يسمح بفتح الحياة أمام المجال الحقوقي الذي ستكون «المبادرة» قاطرته.

استراحة

كلمات متقاطعة 3614

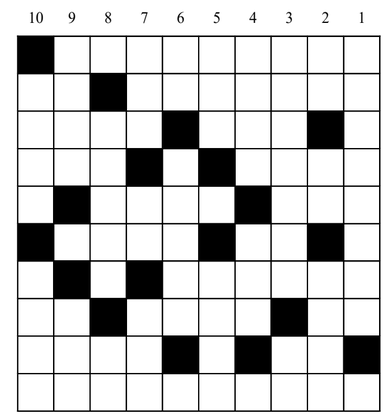

افقيا

1- من ألقاب أم كلثوم – 2- شخصية انكليزية تبرز في الفولكلور الإنكليزي – ماركة صابون – 3- من الطيور – قناة بالأجنبية – 4- إحدى القارات – قر الشتاء – 5- حرف جزم – الطليق – 6- بذر الأرض – من أخوات كاد في الإعراب – 7- فيلسوف يوناني إحتقر الغنى والتقاليد والناس وقضى حياته في برميل – 8- إسم موصول – حادق – أصغر نهر في العالم – 9- صات الثعبان – دولة أميركية – 10- فنان عراقي يلقب بالقيصر

عمودياً

1- من أشهر الألعاب الرياضية في العالم – 2- متشابهان – مادة قاتلة – مدينة فلسطينية – 3- عائلة رئيس جمهورية قبرصي راحل – نصيب في الحياة – 4- مدينة مصرية – غلظ شدقه – 5- عائلة أديب فنلندي راحل – من مؤلفات الشاعر سعيد عقل – 6- للتمني – يشتمه ويسبّه – 7- زاوية الفم من باطن الخدين – شعور – جسر – 8- مصباح ضوئي – ضمير متصل – 9- أراضٍ خالية – جوابه – 10- من الآلات الموسيقية – حلية من ذهب تُلبس في المعصم

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- عاج – بيع – أر – 2- رودريغ – كلا – 3- قم – برنادوس – 4- أسد – وسن – يا – 5- تكريت – مدلل – 6- بم – لام – 7- جلي – كور – تا – 8- اف – ينق – 9- بند – قدر – 10- يوسف السودا

عمودياً

1- عرفات حجازي – 2- اومسك – لف – 3- قم – جد – دربي – بس – 4- رب – بم – ينق – 5- بيروت – كندا – 6- يغبس – بوق – 7- أنم – قس – 8- كد – دل – بدو – 9- الويلات – رد – 10- رأس المال

sudoku 3614

					9		8	
9		7		8		1		2
	5		2				6	
2			6	5	4	8		3
	3		9		8			
		9					4	
3		8		4		7		
7		2			5	6	1	
		5			2			

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3613

1	8	3	2	5	4	6	9	7
4	2	6	3	7	9	8	5	1
7	9	5	6	8	1	3	2	4
8	5	2	7	3	6	1	4	9
9	7	1	8	4	5	2	3	6
6	3	4	1	9	2	5	7	8
2	4	7	5	1	8	9	6	3
3	6	8	9	2	7	4	1	5
5	1	9	4	6	3	7	8	2

مشاهير 3614

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعرة وروائية تونسية إبنة شاعر كبير. تعتبر من أغزر الشاعرات كتابةً في الوطن العربي. من مؤلفاتها «أكتئاب الريح»
4+6+1+4+8=7 ■ خلاف النجاح 2+11+10 = من إنتاج الدجاج 9+3+5 = مثال في الجمال

حل الشبكة الماضية: تشارلز تاونس

إعداد نعوم مسعود

وفيات

بمزيد من الرضى والتسليم بمشيئة الله تعالى
نُعي إليكم فقيدنا الغالي المغفور له بإذن الله المرحوم
باسل أمين عقل
والدته: نادرة حافظ النابلسي
زوجته: مها فوزي قدّومي
أبناؤه: أمين زوجته ياسمينة سليمان الخمري، بشار زوجته سيم فارس الفرا
وعمار
شقيقتاه: المرحومة لبابة زوجة سهيل عرفة، سحر أرملة المرحوم الدكتور داوود أبو السعود
أشقاء زوجته: المرحوم الدكتور عنان قدّومي، السيد هشام قدّومي، السيد ماهر قدّومي
أبناء عمته: الدكتور وليد الخالدي، سلافة الخالدي
يصلى على جثمانه الطاهر الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم الجمعة 4 كانون الأول 2020 ويوارى الثرى في جبانة الشهداء قرب جامع الخاشقجي.
بسبب الأوضاع الصحية الطارئة وحرصاً على السلامة العامة يتقبل أهل الفقيد التعازي شاكرين على الأرقام التالية:
مهى 03/254732
E-mail mahaaq1@gmail.com
أمين 00971567057182
بشار 00971506362943
عمار 00447769701702
أو على E-mail ccebto@ccc.net
الراضون بقضاء الله وقدره آل عقل القدّومي، النابلسي، البشناق، الخمري، الفرا، الخالدي، محاسني، عرفة، أبو السعود وأنسباؤهم.

زوجته منى جبرايل بجّاني
ابنه زياد
ابنته نايلة وابنها اميليو
أولاد شقيقه المرحوم أسعد داغر
الحايك: اسكندر، طنّوس، تيلدا
عائلة شقيقه المرحوم روبير.
وعائلات: الحايك، بجّاني، داغر الحايك، شكر، panayot وعموم عائلات بيت شباب وأنسباؤهم في الوطن والمهجر، ينعون إليكم بمزيد من الحزن والأسى فقيدهم الغالي المرحوم
الصحافي اميل اسكندر الحايك
صاحب دار الخواطر
المُنتقل إلى رحمته تعالى يوم الثلاثاء الواقع فيه 1 كانون الأول 2020 متمماً واجباته الدينية.
يتقبل أهل الفقيد التعازي على الرقم التالي نايلة الحايك: 03347907

صندوق الطلاب الفلسطينيين في لبنان
أعضاء الهيئة العامة والهيئة الإدارية وجميع العاملين في الصندوق
ينعون بمزيد من الأسى أحد مؤسسي الصندوق
وعضو في هيئته العامة الفقيد الغالي
المرحوم باسل أمين عقل
ويتقدمون من آل الفقيد وذويه الكرام بأصدق مشاعر العزاء والمواساة داعين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته

إعلانات رسمية

اعلان

تعلن كهرباء لبنان عن رغبتها في إجراء استدراج عروض لاستقدام استشاري متخصص في دراسة وتصميم وتدعيم المباني لزوم اعداد دراسة هندسية بنيوية للمبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان المتضرر نتيجة انفجار بيروت.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره 50/000 ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى امانة سر كهرباء لبنان - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر.
علماً إن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2021/1/8 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
بيروت في 2020/11/27
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالانابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 1157

REPUBLIC OF LEBANON
ELECTRICITE DU LIBAN (EDL)
INVITATION TO BID FOR THE CONSTRUCTION, IMPLEMENTATION, AND
THE POST IMPLEMENTATION OF A CENTRAL AMI SYSTEM
The Electricité du Liban (EDL), intends to have a contract with an International prospective AMI Contractor for the work described below through a competitive bidding process that is in general compliance with the guidelines of the Owner.
The scope of work is to provide services necessary for the design, engineering supply, installation, testing, commissioning, implementation managing reporting and operating maintaining of activities related to implementing the Central Advanced Metering Infrastructure (AMI) System «Head End (HE), Meter Data Management (MDM). Billing and Customer
Relationship Management (CRM)» for the Main Center and the disaster recovery.
The cost of the services will be financed either by EDL or the World Bank. Bidding documents will be again available for collection at EDL offices (address shown below) during official working hours, starting December 1, 2020, upon payment of the sun of Five hundred thousand LEBANESE POUNDS (500,000 LBP).
ELECTRICITE DU LIBAN
Prefabricated Cell # 38 - EDL Headquarters
22, RUE DU FLEUVE
P.O.BOX 131, BEIRUT
LEBANON
PHONE: 961-1-442720 ➔ 442729
FAX: 961-1-583084
In order to be considered for inclusion in the Bidding firms should return the documents to EDL offices at the above mentioned address not later than the end of official working hours (Beirut local time) on January 22, 2021 (previously set on December 4, 2020) before 11:00 am at the latest, duly completed and accompanied by the required supporting material.
Any clarification related to the bidding documents can be submitted in writing to the address mentioned above before December 4,2020. Please note that it is mandatory to submit your clarifications in hard and electronic copy (Microsoft excel format).
1 - 1 كانون الاول 2020
تكليف 1166

مبوب

مطلوب

مطلوب للعمل في كنشاسا:
1 - مهندس ميكانيك صناعي (في مجال التصميم والتصنيع الميكانيكي لأعمال الكهرباء والمولدات).
2 - معلم تلحيم صناعي.
3 - معلم ميكانيكي لصيانة المولدات الكهربائية.
المطلوب: إرسال CV على الواتس اب على الرقمين:
009613774272
009613630703

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597

الأخبار
al-akhbar
السبت 5 كانون الأول 2020 العدد 4216

صورة وخبر

في كانون الثاني الاستاد الخاص بفريق البيسبول الأميركي «دودجرز» في لوس أنجلس في كاليفوريا، تتواصل لغاية 24 كانون الأوّل (ديسمبر) الحالي فعاليات مهرجان «هوليداي». في 2020، وفي ظل انتشار فيروس كورونا، بإمكان الزوّار الاستمتاع بالعروض من سيّارتهم. تشمل الأنشطة عروضاً ضوئية، وأخرى للثلج المزيّف مع شاشات تفاعلية تكرّم لبطولة «دودجرز» العالمية وتحتفل بالأعياد. (إيما ماكيتاير ــ أف ب)

الميلاد يشعشع في قلب الأشرفية

Christmas in Action 2020 هو عنوان المعرض الميلادي الذي يجري في Resto Saint Nicolas في التباريس (الأشرفية) بين 10 و31 كانون الأوّل (ديسمبر) الحالي. في دورته السابعة التي تنظّمها In Action Events، يحفظ الحدث دور المصمّمين والفنانين في المجتمع من خلال دعم أعمالهم الفنية، فيما سيتسنّى لجميع الزوّار اكتشاف المنصّات المتنوّعة بين المأكولات، المشروبات، الموضة، الأكسسوارات المنزلية، زينة الميلاد، ألعاب للأطفال، الحقائب، الأحذية وغيرها. وهناك حصّة للموسيقى مع برنامج غنيّ للأولاد الذين سيتمتّعون بمكان خاص لهم للّعب والمشاركة في ورش عمل فنيّة عدّة.

Christmas in Action 2020: من 10 إلى 31 كانون الأوّل ـ Resto Saint Nicolas (التباريس ـ الأشرفية/ بيروت). للاستعلام: 81/288770

«خلل» هيرفيه لو تيلييه قريباً بالعربية

أعلنت «دار الآداب» أنّ الترجمة العربية من رواية «الخلل» (L'anomalie ـ دار غاليمار) للكاتب الفرنسي هيرفيه لو تيلييه (الصورة)، الفائزة قبل أيّام بجائزة «غونكور» لعام 2020، ستكون متوافرة لديها قريباً. إنّها الرواية الثامنة في رصيد لو تيلييه الاختصاصي في علم الألسنية. يمزج الكتاب بين الثريلر والرواية النفسية والغرائبية، فيما تدور الأحداث في حزيران (يونيو) 2021، حيث يقلب حدث عادي حيوات مئات الأشخاص الذين كانوا على متن طائرة متوجّهة من باريس إلى نيويورك. ومن بين هؤلاء أب عائلة مرموق لكنه قاتل متخفٍّ، ونجم بوب نيجيري تعب من عالم الزيف والكذب، ومحامية تنوء بثقل إخفاقاتها في الحياة. غير أنّ ظاهرة غريبة ستؤدي إلى ظهورهم مجدداً بتاريخ مغاير، ليمتلك كلّ شخص نسخة عن نفسه!

رحيل

بسام سابا... كونشرتو الغياب

توفي رئيس المعهد العالي للموسيقى، بسّام سابا (1959 ـ الصورة)، صباح أمس الجمعة، من جرّاء مضاعفات إصابته بفيروس كورونا. وكان الفنان الراحل قد أُدخل الشهر الماضي إلى مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت لتلقي العلاج، قبل أن تسوء حالته.

عبر صفحته الرسمية على فايسبوك، قال الكونسرفتوار إنّ موهبة سابا «ومهاراته التعليمية الموسيقية وحساسيته وكفاءته وتواضعه ونزاهته ستعيش إلى الأبد من خلال موسيقاه وشخصيته القريبة من القلب»، مشدداً على أنّه «خسرنا اليوم موسيقياً وإنساناً رائعاً متعدّد المواهب والقدرات الفنّية... لقد فقدنا مايسترو بكل ما للكلمة من معنى».

درس الراحل العزف على العود والكمان في المعهد العالي للموسيقى، وحصل على درجة البكالوريوس في الموسيقى الكلاسيكية الغربية وأداء الفلوت في فرنسا، وماجيستر في أداء الفلوت الغربي والتربية الموسيقية من معهد غيسين التربوي الموسيقي في موسكو. شارك بسام سابا في جولات فنية مع فيروز، ومارسيل خليفة، وسيمون شاهين وزياد الرحباني. تعاون مع نجوم أجانب من خلفيات فنية مختلفة أمثال يو-يو ما، وأليشيا كيز، وسانتانا، وهيربي هانكوك وكوينسي جونز، وشارك في تأسيس وإدارة أوركسترا نيويورك العربية، فيما تمت دعوته إلى العزف منفرداً من قبل أوركسترا هانوفر الفلهارمونية، وأوركسترا قطر الفلهارمونية، والأوركسترا الفلهارمونية الوطنية في بيروت، وأوركسترا زيورخ وأوركسترا إيست أوكلاند باي السيمفونية...

«العنبر 12» وثائقي على «الميادين»

تنطلق غداً على «ميادين» السلسلة الوثائقية «العنبر 12» (تحقيق وإعداد: شيراز حايك ـ إخراج محمد صفا). بعنوان «شحنة الموت»، يرصد الجزء الأوّل مسار السفينة روسوس إلى بيروت وحمولتها من نيترات الأمونيوم، كما سنتعرّف إلى تاريخ المرفأ. ويضيء الجزء الثاني «خفايا وأسرار» على دور الأجهزة في المرفأ والمراسلات التي جرت بخصوص الشحنة وصولاً لانفجار 4 آب. وسيخصص الجزء الثالث «عصف ودمار» للأحداث التي أدّت إلى الكارثة والاستثمار السياسي لما جرى والرأي القانوني والأمني. الضيوف هم: يعقوب الصراف (الصورة)، حاتم ماضي، يوسف فينيانوس، طلال فاضل، بشرى الخليل، فؤاد بزي، طوني صليبا، كريستين بابكيان، كمال حمدان، مال برونو، نزار خليل، بوريس بروكوشيف والزميل حسن عليق.

*«العنبر 12»: غداً ـ 21:00 على «الميادين»

الأخبار al-akhbar

السبت 5 كانون الأول 2020
العدد 4216 السنة الخامسة عشرة
Samedi 5 Décembre 2020 no4216 15ème année

كلمات

ملحق أسبوعي

www.al-akhbar.com

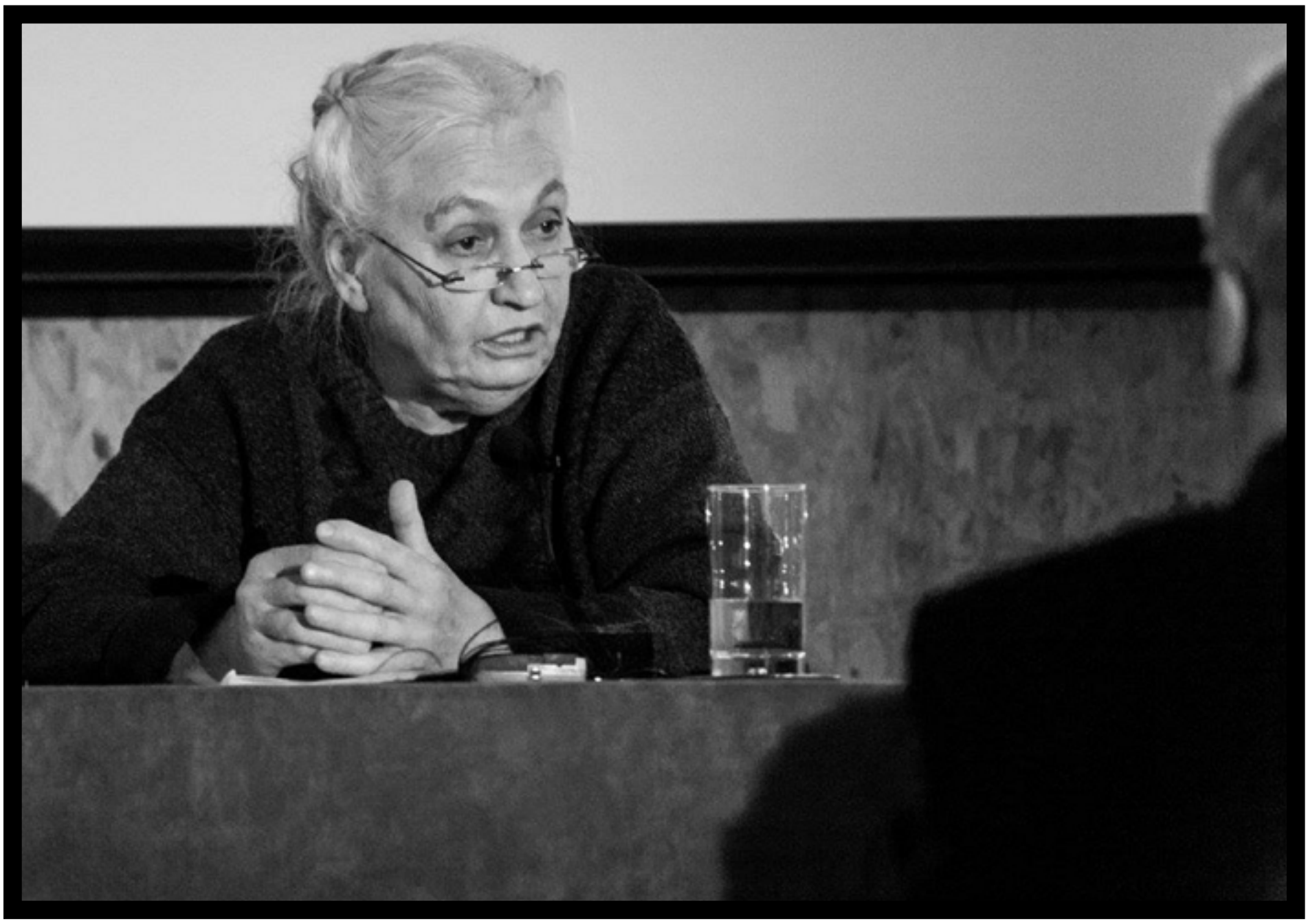

(فيرونيكا ايلينا)

جاكلين الشابي
ألغام الدوغمائية

محمد ناصر الدين

البحث عن الإسلام في سياقه المبكر يفرض على الباحث أسئلة صعبة: كيف يمكن وضع القرآن وآخر الأديان التوحيدية في قلب مجتمع «التنزيل» وبعيداً من مجتمعات «التأويل» التي أخذت على عاتقها تفسير النصّ، وبالتالي التأسيس لمذاهب وطرق وشيَع، وتحمّل كلّ تبعات استنطاق هذا النصّ وتسييله في علوم الكلام والفقه والمنطق والأصول بعد قرون من «الكتّاب» القرآني الأول في دار الأرقم ومجتمع يثرب، حيث تلقى المريدون كلمات الوحي شفاهة من صاحب حراء الذي وصفه الكتاب نفسه «إن هو إلّا وحي يوحى»؟ كيف كانت انطلاقة الإسلام الأول؟ كيف ظهر القرآن؟ وإلى من توجّهت «الكلمة الإلهية» بدايةً؟ كيف يؤمن العرب بالتنزيل؟ وما هي طبيعة الدين الذي مارسه المسلمون الأوائل، أي صحابة محمد؟ هذه الأسئلة التي تطرح بإلحاح مسألة المعنى وبشكل ألحّ تاريخانية المعنى، تطرحها جاكلين الشابي (1943) المؤرّخة الفرنسية وأستاذة الدراسات العربية في «جامعة باريس الثامنة» والمهتمّة بتاريخ الإسلام في القرون الوسطى إضافة إلى الصوفية والمتصوفة.

في كتابها المرجعي «رب القبائل» (1997) الصادر أخيراً بنسخته العربية عن «منشورات الجمل» (ترجمة ناصر بن رجب)، تقسم الشابي الكتاب إلى أربعة فصول هي: القرآن ومحيطه الأصلي، بناء الماضي- نصوص ما بعد ونصوص الجوار، والنبي المنبوذ ومعارك وشعائر. يقول الباحث أندريه كاكو في تقديمه للكتاب إنّ «المؤلفة اعتمدت على منهجية سليمة لتاريخ الأديان. منهجية بعيدة كلّ البعد عن الدوغمائية والازدراء، يحدوها فيها حذر شديد سمح لها بتجنّب الدراسات الذاتية التي تهدف إلى الدخول في روح النبي واستقراء ما يختلج فيها من مشاعر». هذه الوضعية المحايدة والروح العلمية المتجرّدة، بمقاربة جديدة تتناول القرآن والإسلام في سياق محدّد هو سياق القبائل التي كانت تعيش وفق علاقات تضامن وتحالف لكي يتسنّى لها مجابهة محيط صحراوي شاقّ في ظروف توفر أدنى مقومات العيش، ستثير حفيظة العديد من العاملين في الدوائر الاستشراقية الفرنسية والغربية: الباحث كريستيان بوبان في «المركز الفرنسي للبحث العلمي» سيشيد بدقة العرض التاريخي المستند إلى معرفة ضليعة باللغة العربية وبالمصادر الأصلية، إضافة إلى أن المؤلّفة كانت قد ضبطت في كتاب سابق (معجم الإسلام) المصطلحات كافة، ما يمنع أي شتات سيميائي في البحث. إلّا أنه سيعيب على الشابي حيادها وغيابها عن أيّ تموضع في كل النقاشات «العلمية» حول أصول الإسلام. النقاشات التي تشذّ عنها مقاربة الشابي، تتلخّص في ثلاث أطروحات: أطروحة أولى رائدها مايكل كوك وباتريسيا كرون من صقور الاستشراق الانغلوساكسوني الجديد، ومفادها أن تواريخ الإسلام المبكر قد تم اختراعها بالكامل في عصر مبكر، وبالتالي يستحيل عملياً إعادة ترميم المحيط الأول للدعوة استناداً إلى السرديات التي يؤمنها التراث. الأطروحة الثانية هي المدرسة المهتمة بأصول القرآن، ومن أبرز رموزها جون وانزبروخ وفرانسوا داروش وتنطلق من أن القرآن كتاب يجمع مواد متنافرة وسيأخذ شكله النهائي بعد قرون متأخرة (وانزبروخ)، أو تعتمد على علوم تحليل الخط والباليوغرافيا والتحاليل الفيزيو-كيميائية للصحف والجلود والرقائم التي كُتبت عليها أولى الآيات والسور (داروش). الأطروحة الثالثة يتبناها المستشرقان العبريان م.ج كيستر ومايكل ليكر وتقوم على تتبع التراث الإسلامي والحديث والسير والمغازي والتحليل الدقيق لمحتوياتها والقيام بجهد تجميعي تتقاطع حوله المصادر المتعددة لبناء سلسلة انطولوجية للوصول إلى أصل كل تقليد إسلامي أو شعيرة. وختم الجدال باتّهام الشابي بالتقليل من شأن مسألة حاضرة حميَر اليمنية ورسوخ التقليد اليهودي-المسيحي فيها برسوخ الزراعة، ما سيؤثر في الدين الجديد الذي يصرّ الكثير من هؤلاء المستشرقين على طمس أيّ ملامح محلّية في تكوينه كما تطرح الشابي، وتصويره حصرياً كمحاولة تشويه واقتباس للدينين السابقين.

«ينبغي أن نتساءل من وجهة نظر الأنثروبولوجيا التاريخية: ما مفهوم الدين في مجتمع قبلي؟ وهذا المجتمع يخضع لمنطق الآلهة والتضامن معها أكثر من خضوعه لديانة دغمائية تحكمها شعائر صارمة... فعندما نرى الصفات التي ينسبها القرآن لله والتي تشهد على مدى سخائه على الإنسان، فإن هذا السخاء يحيل مباشرة إلى صورة السيد (رئيس القبيلة) الذي يجب عليه أن يكون دائماً وأبداً معطاءً وسخياً. في حالة هذا الولاء للإله كما هو الأمر أيضاً بخصوص الولاء بين البشر، فإنّ هذه العلاقة تحيل مباشرة إلى منظومة ومفهوم ممارسة السلطة في عالم القبائل». هذه القراءة التي تتحفنا بها جاكلين الشابي هي أكثر من ضرورية عند سيرنا بين «الألغام» الدوغمائية التي يزرعها المتعصبون من المستشرقين والأصوليين ممن يصرّون على حصر القرآن بشريحة يدرسها الميكروسكوب أو آية تبرر فتوى قطع الرؤوس وجز الأعناق. كل قراءة كما في «ربّ القبائل» تفتح النص على أفق جديد للمعرفة هي اليوم ضرورة قصوى لما نادى به الدين نفسه في كلماته الأولى.

ملف

نسخة عربية من عمله «الكتابة والتحليل النفسي»

جان ماترن يردم المسافة بين فرويد وشكسبير

يحيلنا جان ماترن (1965) إلى أكثر من معنى للفقدان، أو الخسارة، أو فداحة النسيان. للوهلة الاولى، سيذهب تفكيرنا نحو الموت، وفقدان من نحب، الفكرة التي توقظ لدينا قائمة طويلة من اسماء الغائبين، أولئك الذين رحلوا بغتة، وبقيت عناوينهم وأطيافهم وحسب. لكن الروائي الفرنسي الذي درس الادب المقارن، وعمل محرّراً وناشراً في أكثر من دار نشر فرنسية، يذهب إلى خرائط اخرى للخسارات. كأن يفقد مخطوط رواية كان يخزّنها على الكمبيوتر، أو يفقد لغته الاولى، هو المهاجر من اوروبا الشرقية، أو من هويته الاصلية. وقبل ذلك تجربته في استعادة سيغموند فرويد بقراءة جديدة لكتابه «الاحلام والهذيان»، وعلى نحوٍ ادقّ: تحليله النفسي لكتاب «غراديفا» لولهلم جنسن، معتبراً إياه اول كتاب في الادب النفسي. وسط هذه المتاهة، يبدو صاحب «منظر استثنائي» كمن يستعيد فضاءات مراهقته البعيدة في المانيا، حيث كان يستعير الكتب من مخزن صغير منجزاً ـ بما يشبه الحمّى ـ قراءة ستة كتب في الاسبوع (يفتقد اليوم تلك اللحظات الحميمية للعزلة). سنتخلّى إذاً عن العنوان الأصلي لكتابه «عن الخسارة والسعادة الاخرى» (غاليمار)، حسب نسخته الفرنسية، ونلجأ إلى ما اقترحه عبد الهادي الفقير في ترجمته للنسخة العربية «في مزايا الفقدان: عن الكتابة والتحليل النفسي» التي ستصدر قريباً عن «دار نينوى» قريباً. ذلك ان الفقدان اسم آخر للخسارة. ان تهجر الكتابة بخطّ اليد وتلجأ إلى الكتابة على شاشة الكمبيوتر، ثم تفقد ما كتبته بخطأ تقني لمواكبة العصر، هو بشكلٍ ما هجاء مراوغ للحظة العولمية الراهنة التي اطاحت بطمأنينة الامس. خسر لذة الكتابة الاولى عن فرويد. لكنه، في الكتابة الثانية، احسّ بلذة اكبر: «إن رغبتي في الغطس من جديد في اعماق كتابات فرويد التي تركتْ قراءتها أثراً كبيراً عليّ أثناء مراهقتي، تَعدني الآن بمغامرة شيقة، حبلى بالفكر وبالكتابة الادبية» يقول. يؤكد صاحب «أزرق البحيرة» و«حليب وعسل» اهمية فرويد والتحليل النفسي في اكتشاف لذّة موازية للشهوانية، هي لذّة القراءة. والشغف في الفرق بين الكتب، بالإضافة إلى الموسيقى. وإذا ما خسرناه في الامس نستعيده بشبقٍ أكبر اليوم، روحياً وحسّياً. يرمي جان ماترن عموماً إلى المزج بين الكتابة والتحليل النفسي بقوله: «لا اعتبر عملي الروائي من زاوية علاجية. لا ابداً، لكنني قد اكون معتوهاً إذا لم اعترف بان تحليلي النفسي الشخصي هو ما فتح لي باب الكتابة». مراهناً على انّ «التحليل النفسي والادب، كليهما، يُتاجران بشوْون ارواحنا». هكذا يرمّم فقدانه التوازن لعطب في قدميه، بالمشي والتأمل، وتفسير احلامه وهذياناته باللجوء إلى شكسبير وفرويد في آنٍ واحد. «فليس هناك افضل منهما في سبر اغوار وطبقات إنسانيتنا وجعلها تعبّر عن ذاتها، سواء كان ذلك على اريكة التحليل او بين دفتي كتاب».

هنا مقاطع من اعترافات جان ماترن:

تقديم خليك صوبلح

كارثة فقدان مخطوطة كتابك

كاد هذا الكتاب ألّا يرى النور بعد كتابته. فقد ابتلعه ثقب المعلوماتية الأسود، كابوس كل كاتب. ذلك أنني فقدتُ قرص الكمبيوتر الذي تضمّن الكتاب أثناء نقل أثاثي من منزل إلى منزل آخر وأيضاً بعدما تم ضغط «الكلاود» فحصل إفراغه من نسخة المخطوط المحفوظة به.

حتى هذه اللحظة، كنت أكتب كل رواياتي بخط اليد قبل العمل على تسجيلها كي تصبح ملفاً إلكترونياً. لكن إحساساً غامضاً دفع بي هذه المرّة للتخلّي عمّا اعتدت عليه، والحَ عليّ بأن الوقت قد حان لمصاحبة العصر واستعمال وسائله. فكي أدّخر الوقت والطاقة، كان عليّ أن أكتب مباشرة على كيبورد حاسوبي الصغير، الأعجوبة التكنولوجية الحديثة. إنه خفيف وجدُّ مناسب، فلماذا إذاً لا أستعمله كما يفعل كل الآخرين مثلي؟

بكلّ تأكيد، أنا لست ككل الآخرين، وما يصلح للآخرين ليس بالضرورة ما يناسبني. لكن ربما هذا الموقف هو مجرد ردّة فعل مني كي أدافع عن كبريائي واتناسى إحساسي المخزي بكوني فشلت أيّما فشل في أن أصبح كاتباً عصرياً. وربما قد يكون الأمر غير ذلك.

لكن ماذا يمكن قوله في هذه الممارسة التي تتطلّب منا إبداع حصيلة أعمالنا ومنتوج مجهودنا الفكري، في «الكلاود»، هذا الهوام المعاصر؟ يا لها من حماقة تجعلنا نتصوّر أن سحابة قد تشكل المكان الآمن للاحتفاظ بأفكارنا، والمكان اللائق لتثبيت الكلمات التي ضمّنّاها احلامنا حتى تصبح نصوصاً قابلة للنشر؟

وربما أنني هكذا فعلت كلّ ما في وسعي، ولو مرة واحدة، كي أضيّع كل ما كتبته من أفكار حول سيغموند فرويد. فهل أضعتُها رغماً عني في قرص كمبيوتر ثم في سحابة معلوماتية، كي يُقدّر لي أن حصل عليها مجدداً وبشكل أفضل؟

لقد استقبلتُ رغم ذلك هذا الطرح بفرح كبير وبكثير من الإثارة: إن رغبتي في الغطس من جديد في أعماق كتابات فرويد التي تركتْ قراءتها أثراً كبيراً عليّ أثناء مراهقتي، تَعدني الآن بمغامرة شيقة، حبلى بالفكر وبالكتابة الأدبية. لم يكن من الصعب عليّ اختيار أحد نصوص فرويد. فمن بين ما كتبه هذا الأخير، كان تعليقه على إحدى قصص الكاتب الألماني ولهلم جنسن قد شغل في ذاكرتي كقارئ، موقعاً خاصاً. وهكذا، إذاً، فإن كتاب فرويد حول «الهذيان والأحلام في «غراديفا» لجنسن»، هو ما سأستعمله كنقطة انطلاق للتعامل مع بعض المبادئ الفرويدية الكبرى، من خلال الإنارة المستقاة من تجربتي الشخصية لمبدأ اللذة. فما بإمكانه يا ترى أن يكون محفزاً لي، بصفتي ناشراً وكاتباً خضع لتحليل نفسي شخصياً، أكثر وأفضل من أن أكتب تعليقاً على تعليق قد يقترب من تمرين تلمودي، أو أكثر وأفضل من الاطلاع على الكتاب الوحيد الذي يقف فيه فرويد بكل جلاء موقف المفسّر لكتاب أدبي؟

انطلقتُ في قراءة هذا النص من جديد، بنظرة كنت أتوخاها مستجدة إلى أكبر حدّ. قرأته أولاً في الأصل الألماني ثم من خلال الترجمة الفرنسية. بعدها قمت بتدوين الملاحظات على أحسن وجه. وفيما بعد وتحت سماء رحيمة لصيف بعيد، انطلقت في كتابة أفكاري بكلّ سهولة ويسر. وهكذا شرعتُ في المزج بين قراءتين لهذا النص: قراءة مراهق في السابعة عشر من عمره، وقراءة رجل احتفل للتو بمنتصف حياته. فغلب عليّ الظن بأن هذا التمرين سيُخلف بعض الشرارات (من اللذة إن لم تكن من قبيل الذكاء). ولقد بدا لي بأن هذا التمرين سينتج عنه شيء ما لا محالة.

إن كلمة «موزي لاور» في اللغة العبرية، تدل على مهنة الناشر وفي نفس الوقت، هي نفسها التي تطلق على القابلات. بمعنى أنها تخصّ من يقوم بإخراج كائن ما إلى النور. وهكذا، فإن الاعتناء بولادة نص ما، كما يتم الاعتناء بمجيء مولود إلى الحياة، هي صورة لشدّ ما أعجبتني. وباستعمال هذه الاستعارة، انتهى بي الأمر إلى تقبّل كون بعض النصوص قد لا تنجح في تخطّي مخاطر ترْج بها في جحيم تكنولوجيا القرن الواحد والعشرين، وذلك من دون رجعة ممكنة، تماماً كما يحدث لبعض الأجنّة التي لا تصل إلى أجلها المحتوم. في هذه الحالة، لم يبقَ لأوراقي من وجود في أفقي كي يتسنّى لي استرجاع منطقة «زوريديستي» الخاصة بي إلى الحياة الورقية. وبهذا الخصوص بالذات، فإنّ رأي اختصاصيي الكمبيوتر قطعيٌّ ولا نقاش فيه.

إن كتابي هذا بمثابة عودة من نوع خاص إلى الحياة. والأكثر من ذلك، إنه يشهد على تغيّر عميق في طريقة حياتي، تغيرٌ تزامن مع لحظة كتابته الأولى وكذلك مع لحظة افتقادي (أهو فقدان ضروري؟) المخطوطة الكتاب، ثم إعادة كتابته مرة ثانية. إن هذه المصادفات، التي ليست هي كذلك في الحقيقة، تزامنت وتماشى بعضها بجانب البعض مع أفكاري في هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القارئ، حول قصة «الغراديفا» وحول عبقرية فرويد بشأنها. فأفكاري هذه تعبير عن صراعاتي ومحاولات ترتيبي بين الواقع واللذة أو قُل بين الوقائع والملذات. وربما هي ليست إلا اعترافي بفقداناتي المتعدّدة وقد انقلبتْ إلى سعادة، وربما إلى سعادات متنوعة ومتعدّدة.

فقدان الكرامة

على عكس بطل ولهلم جنسن الذي قام فرويد بتحليل «جنونه الخاص»، لم يحصل لي أن شعرت بمناداتي واستدعائي لمكان آخر بواسطة تصوّر ما لوضعية قدم متميزة. لكنني كنت على غراره، مسكوناً بخيال حادّ جداً، يمكن أن ينبعث ليس فقط من خلال الأحلام، لكن أيضاً في حالة اليقظة. وبكلّ صدق، ليس بإمكاني الآن أن أثبت بأنني لمحت هذا التشابه بين قراءتي الأولى لما كتبه فرويد. فلست أدري إن أنا تعرّفت على نفسي مباشرة في الوصف الذي يعطيه فرويد لبطل هذا الاستيهام البومبي (نسبةً إلى مدينة بومبي الأثرية). لكنني اليوم أجدني تحت تأثير حكمته المتمثلة عزاءً، عندما كتب قائلاً: «بهذه القطيعة بين الخيال والعقل، فلقد أصبح مقدراً على ـ هانولد ـ أن يصبح إما شاعراً وإما عصابياً. إنه ينتمي إلى فصيلة من هم من مملكة ليست من هذا العالم». أما في ما يخصني، فلقد كنت أجهل إن كنت أنا شاعراً أم عصابياً في الحقيقة، لكن من المؤكد أنني كنت في بعض الأحيان أتساءل حقاً، عندما كنت أسقط مراراً وتكراراً، إن كانت قدماي من هذا العالم. إن سقوطي وانبطاحي على الأرض، يشكل لديّ بلا ريب أعلى شكل من أشكال الفقدان. ففقدان وضعية الانتصاب التي تميز الإنسان، يعني بالنسبة إليّ فقْدان كرامتي وأنفتي.

لقد اخترتُ رغماً عني كل أشكال السقوط، سواء أكان ذلك في السلالم أو على حافة رصيف، سواء أكان ذلك بالتعثر في حزام نعلٍ لم باشتباك قدمي اليسرى بقدمي اليمنى. لقد اختبرت كلّ أنواع السقوط هذه بنوع من الانتظام، بل وبنوع من السعادة إن أمكن القول.

بفضل سقوطٍ جدّ مذهل من هذا القبيل، ابتدأ فصل جديد من حياتي لبضع سنوات خلت. وفي هذا الصدد، قد يكون من السهل عليّ أن أقول إنني ما طلبت آنذاك موعداً مع المحلّل النفسي إلّا لمعرفة ما إذا كنت عصابياً فقط أو شاعراً بعض الشيء. لكنني بهذا القول لا أفعل سوى تزيين الواقع بالتأكيد. فإذا كان نوربرت هانولد مضطراً للسفر إلى بومبي كي يتخلّص من أحلامه التي لم تبارحه والتي يرى فيها غراديفا وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت أنقاض بركان فيزوف، فإنني قررت الذهاب إلى عنوان المحلل النفسي الأول كي أتخلّص أنا أيضاً من وساوسي. إنها أحلام تقطع فيها قدماي دائماً المسافة نفسها لتتوقف عند حافة قبر.

في الواقع كنت آنذاك لا أتجاوز الثلاثين من عمري وأصبحت أيضاً أباً للمرة الثانية. لكني كنت متأكداً بأنه ليس بإمكاني أبداً أن أخطو خطوة واحدة إلى الأمام. لقد كنت موقوفاً وعالقاً بسبب حلم عند حافة قبر.

فما عدا قراءاتي لبعض كتابات فرويد إبان فترة المراهقة، لم أكن أعرف شيئاً عن التحليل النفسي ولم تكن لي علاقات خاصة في هذا المجال. السبيل الوحيد الذي احتذيته يرجع إلى قراءة أوصاني بها لبعض سنوات خلت، أستاذ الآداب الإنكليزية الذي كنت أكنّ له كامل الإعجاب والتقدير. إنه كتاب حول شكسبير ألّفه أحد المحللين النفسانيين. فهذا الرجل الذي بإمكانه أن يضيء لي عالم أبطالي المفضلين وبالخصوص منهم الملك المجنون الذي يهيم وحيداً في أرض استكلنده، يبدو لي أحسن اختيار لإنارتي عما يعتور ذاتي.

عندما فقدتُ لغتي

بدأتُ الكتابة متأخراً إلى حدّ ما في حياتي، في حوالى الأربعين من عمري، وفي لغة ليست لغة طفولتي، لكنها الوحيدة التي أحسّ أنني فيها أحيا. إنني لا أعتبر عملي الروائي من زاوية علاجية، لا أبداً، لكنني قد أكون معتوهاً إذا لم أعترف بأن تحليلي النفسي الشخصي هو ما فتح لي باب الكتابة. ثم إن التحليل لا يفتأ يسترسل نوعاً ما في مؤلفاتي. إنّ التحليل النفسي والآداب، كليهما، يُتاجران بشؤون أرواحنا (وللمرة الأولى، لا يتضمن مني هذا التعبير أي مزايدة سلبية). إذ في نظري، ليس هناك أفضل منهما في سبر أغوار وطبقات إنسانيتنا وجعلها تعبر عن ذاتها، سواء كان ذلك على أريكة التحليل أو بين دفتي كتاب. إن إعادة قراءة فرويد في لحظة فارقة من حياتي أبانت لي إلى أي حدّ يتجاور هذان الصنفان من المعرفة، كلاهما يمدّنا بمفاتيح من أجل الولوج لشكل من أشكال تحقيق الذات. إنه تحقيق الذات الذي يَعد به التحليل النفسي من يود تحليل نفسه، وهو ذاته ما تسمح به المرآة المعروضة على القارئ من جانب الكتابة الأدبية.

لقد كانت هذه الحرية وما زالت منبعاً لسعادة متواصلة لديّ. فالكتابة بلا ريب هي تمديد للخمس سنوات رتّبها إيقاع مواعيدي مع المحلل النفسي. وإنها أيضاً وبالضرورة تجلب عليّ كل التمزقات النفسية الشبيهة بتلك التي ترافق أي تحليل نفسي. وهي كذلك تجرّ خلفها تقلبات جديدة لأن ما تتطلبه من سبر أغوار الذات - وإن كان هذا السبر يختلف عن ما يتم تفعيله في التحويل التحليلي – إلى إدراكات واعية غالباً ما تكون مؤلمة، تماماً كما يحصل أثناء تحليل نفسي. فبالنسبة لي، إن ذهابي قدماً نحو نهاية رواية ما، يعني كل مرة، إمكانية اصطدامي بعقْر من حياتي ومن ذاتي لم يتم استكشافه بعد. إن الكتابة الأدبية تعلّم أشياءً لا يعلمها ولا يدركها الآخرون، وكل كاتب يكون، في حصيلة الأمر، قيّماً على «المعرفة ذاتها» التي يتمكّن منها المحلّل النفسي الذي يتحدث عنه فرويد. فهذه المعرفة التي تتعلق بالرغبات والمعاناة اللاشعورية، تدفع إلى مسالك تُفقد التوازن، بالضرورة.

وهكذا، فإن لم يحصل أبداً، بعد تحليلي النفسي، أن اشتبكت قدمي بقدمي فسقطتُ طريحاً على الأرض، فإني رغم ذلك وقعت ضحية نوبات قوية من فقدان التوازن مرات عدة. على المستوى العيادي، يحمل التشخيص اسم «متلازمة مينيير»، لكن بعد قليل من التروي، اتضح لي بأن فقدان الاتزان العنيف هذا، مردّه ليس فقط إلى شريان أذني الداخلية الذي أصابه انكماش، وإنما أيضاً إلى المواضيع التي أقوم باكتشافها من كتاب إلى كتاب، حافراً ومنقّباً كل مرّة مسألة رغباتي.

فقدان التوازن

إن فقدان توازني الجسدي هو اختبار صادم أبعد مما كنت أتوقعه قبل أن أعيش النوبة الأولى من الدوخة. فعدم القدرة على التفريق بين الأعلى والأسفل، وكذلك إحساسي بدوار وكأنني بداخل آلة خيالية لغسل الملابس، كل هذا يخلق فوضى انفعالية تتعدّى الأعراض الجسدية من تنفّس متقطّع وحالات غثيان وتقيؤ. إنه واقع آخر، كل ما يشكّله هش ومتقلّب، يحل محلّ الواقع المألوف. فإذا لم يعد من الممكن لي حتى الوقوف على القدمين، فكل شيء يصبح موضع تساؤل.

وعلى الرغم من ذلك، فإن العلاج التحليلي قد حرّرني من كوابيسي التي كانت تمنعني من الحب من دون مذاق الرماد في فمي. وتمنعني من الارتباط بشخص آخر من دون أن أتصور فوراً لزوم فقدانه. لقد أبعد عني هذا السمّ القاتل الذي يقضي بقضاء جل وقتي في تحضير مَراثي في ذهني. لقد خلقتْ لديّ هذه الحرية الجديدة مجالاً نفسياً يمكن للخيال فيه أن يتماشى مع سير السير الحياتية التي تكوننا، في ترابطها مع تلك التي سمح أباؤنا باطلاعنا عليها، وخصوصاً تلك التي كتموا القول فيها.

إن رغبتي الملحة في طمر الفراغات والثقوب التي قد تتخلل تاريخ أسرة ما، كانت حافزاً جدّ قوي في كتابتي، وبالخصوص في روايتي الثانية المستوحاة من حياة أبي بالذات. فبتخيلي لحيوات أخرى غير حياتي، انطلاقاً من تاريخ أسرتي التي تتدرج بداخلها سيرة حياتي، أصبحتُ أقترب شيئاً فشيئاً من حقيقتي الحميمية. إن سعادتي بكوني أحسّ نفسي متناغماً أكثر فأكثر مع من أصبحتُه بفضل التحليل وبفضل الكتابة، جعلني مع ذلك أبتعد أكثر فأكثر عن الشخص الذي اخترتُ أن أقتسم حياته في الخامسة والعشرين من عمري. تلك المرأة التي تعلّق قلبي بها والتي يصحبتها ربيت ثلاثة أطفال رائعين.

فرويد وغوستاف مالر

لقد توافق اكتشافي للنظرية الفرويدية مع استماعي أول مرة لموسيقى غوستاف مالر. إلّا أن هذا التلاقي الأولي مع سماع الموسيقى من طرف ذاك المراهق المولع، كان يكتنفه شيء من الإحساس بالألم. لقد كان يبدو لي آنذاك بأنني لا أفهم شيئاً من الرموز الماليرية الشاسعة شساعة الكاتدرائيات ومن بنياتها المتشتتة (مظهرياً) لدرجة كان يصعب عليّ تجميع كلّ نتفها. ومع ذلك، فإنّ هذه الموسيقى الما بعد-حداثية تركت في نفسي انفعالاً ليس له مثيل، انفعالاً يختلف كلياً عما ألفته في المجال المريح لعالم الموسيقى، الباروك أو الكلاسيكية. وعند سماعي لأول مرة للسمفونية الرابعة لمالير أثناء حفلة موسيقية، فإن الصدمة الجمالية التي خلّفتها لديّ تمت ترجمتها عندي بردة فعل قصوى: مع نهاية العرض، وجدتُني مبللاً بل وغارقاً في دموعي. ومن الممكن أنني بكيت خلال جزء كامل من القطعة الأخيرة ومن دون أن أنتبه إلى ذلك.

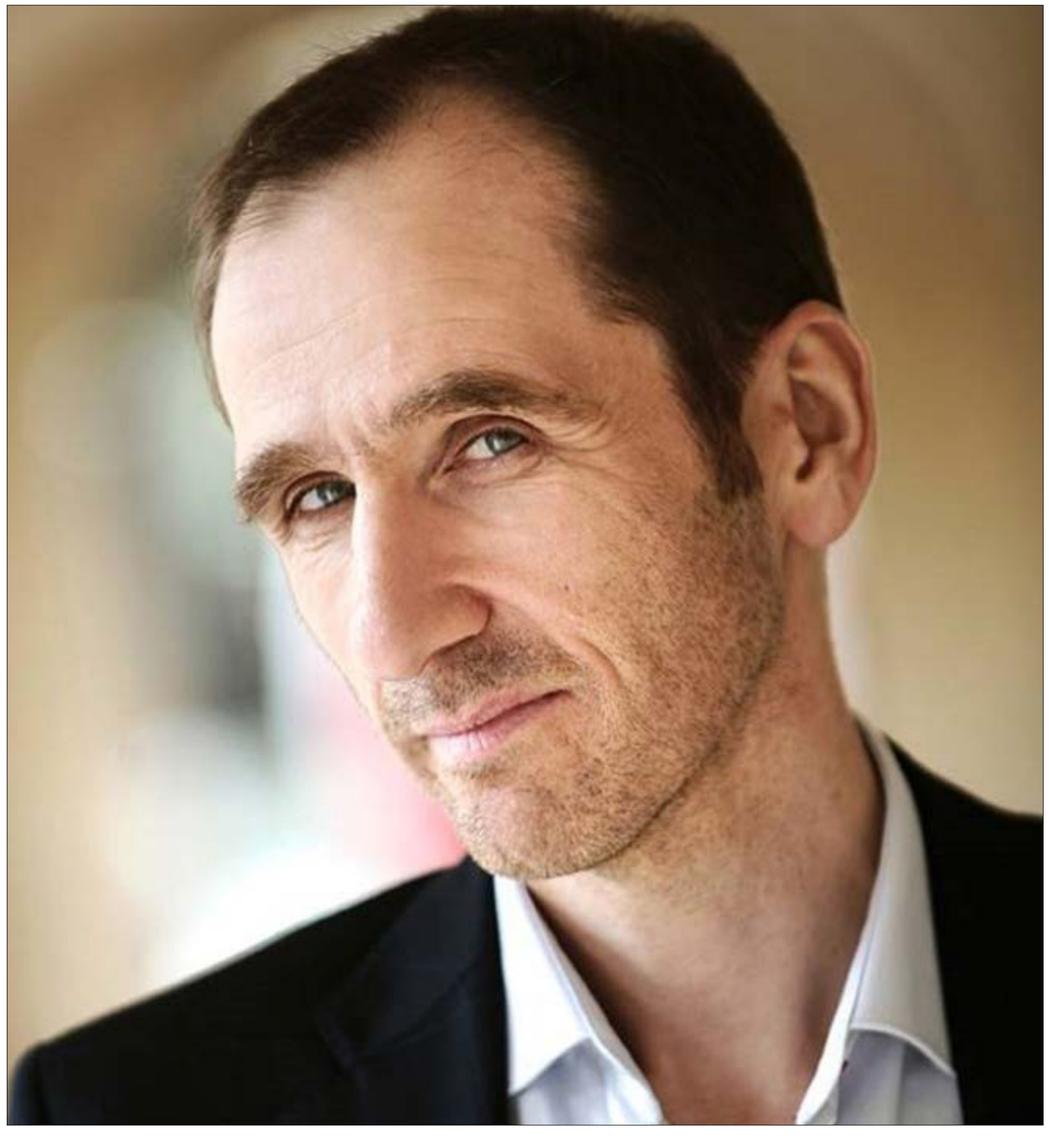

مقتطف من رواية

أوكتافيا بَتلر: نسَب (*)

ترجمة
منى كريم

سبقت الكارثة يوم التاسع من حزيران (يونيو) 1976 بوقت طويل، اليوم الذي بدأت أستوعب ما أمر به، اليوم الذي سجّلته ذاكرتي كبداية لهذه الظاهرة الغريبة. كان يوم عيد ميلادي السادس والعشرين. وكان أيضاً اليوم الذي التقيتُ فيه «روفوس»، يوم مناجاته الأولى لي! أنا وكيفن لم نخطّط للاحتفال بعيد ميلادي. كنا مرهقَيْن جدّاً لتخطيط مثل هذه المناسبات. كنا قد انتقلنا قبل يوم واحد من شقتنا في لوس أنجلس إلى بيت يبعد بضعة أميال عن المدينة في ضاحية التادينا. جاء انتقالنا إلى هذا البيت كاحتفال مناسب بالنسبة إليّ. انشغلنا بترتيب المنزل، أو بالأحرى انشغلتُ بترتيب المنزل، فقد انسحب كيفن من المهمة سريعاً بعدما جهّز مكتبه. ها هو منعزل هناك يضيع الوقت أو يقلب أفكاره لأنني لم أسمح صوت آلته الكاتبة. أخيراً، قرر كيفن أن يشرّفنا في غرفة المعيشة حيث كنت أصنّف الكتب على الرفوف. فكرت بصف الروايات والقصص فقط. لدينا مجموعة كبيرة من الكتب، لذا قررنا أن نتبع نوعاً ما من النظام في ترتيبها.

سألته: «ما الذي يشغل بالك؟».

«لا شيء». جلس على الأرضية بالقرب مني. «أصارع أفكاري المشوشة. تعرفين، خلال نقلتنا البارحة، جاءتني أفكار كثيرة لكتابة قصة الكريسمس التي كنت أنتظر فرصة لكتابتها».

«والآن تبخرت جميعها عندما توفّر لديك الوقت لكتابتها».

«لا يمكنني الإمساك حتى بواحدة منها». التقط كتاباً وفتحه، قلّب الصفحات. التقطتُ كتاباً آخر وبطرفه نقرت على كتفه. التفت نحوي مستغرباً، وضعت كومة من الكتب غير الروائية أمامه ليرتبها، أجابني بنظرة حزن.

«اللعنة ما الذي جاء بي إلى هنا؟».

«بحثاً عن الأفكار. لا تأتيك إلا وأنت مشغول».

أعطاني نظرة عرفت أنها ليست ناقمة كما تبدو. له عينان شاحبتان لا لون لهما، يبدو وجهه بهما قصيّاً غاضباً أو غريباً بغض النظر إن كان فعلاً كذلك أم لم يكن. يستخدم عينيه أحياناً لإخافة الآخرين. الغرباء. أجبته بابتسامة ضاحكة وعدت إلى مهمة الترتيب. نهض يلتقط الكتب غير الروائية يرتّبها على الرفوف المخصصة لها.

انحنيت لأدفع صندوقاً آخر من الكتب باتجاهه لكني عدت لأستقيم سريعاً بعدما شعرت بدوار وغثيان. بدأت الغرفة تدور من حولي وتختفي وتُظلم. تمسّكت بأحد الرفوف. لم أفهم ما الذي يحدث، سقطت أخيراً على ركبتي. أسمع كيفن يحدث صوتاً بلا كلمات، مثلي هو مصدوم، يسألني مرتعباً «ماذا يحدث؟».

رفعت رأسي وأدركت أني لا أستطيع تركيز بصري عليه. «لا أعرف ما الذي دهاني!» قلت وصوت لهاثي يتصاعد.

ها هو يتحرك باتجاهي، لمحت شبح بنطاله الرمادي وقميصه الأزرق. وفي تلك اللحظة، وقبل أن يوشك على ملامستي، اختفى كيفن من أمامي.

البيت، الكتب، كل شيء اختفى. فجأة، وجدتُني في مكان خارجي راكعةً على الأرض تحت شجرة. كنت في مساحة خضراء على طرف غابة ما. أمامي نهر صاف واسع، في منتصفه طفل يصارع التيار ويصيح:

يغرق!

ركضت لنجدة الطفل. سأطرح أسئلتي لاحقاً، أحاول حلّ لغز وجودي هنا، ما حدث لي. الآن عليّ أولاً إنقاذ هذا الطفل.

ركضت نحو النهر، قطعته إلى المنتصف من دون أن أتوقف لنزع ملابسي، وسبحت باتجاه الطفل. كان قد فقد وعيه، ولد أصهب يطفو بوجه غاطس في الماء. قلبته وأمسكت به بحيث لا يغرق وجهه تحت الماء ثانيةً وصرت أجرُّه باتجاه الضفة. لمحت امرأة صهباء تنتظرنا هناك. أو أنها بالأحرى تتراكض يميناً ويساراً وهي تبكي. حينما رأتني أخرج من النهر، هرعت إليّ لتخطف الولد من يدي وتركض به بقية الطريق، محاولة فحص حركة تنفسه. «فقَدَ نفَسَه!» صاحت مراراً.

تنفس اصطناعي. أذكر أني شاهدت أحداً يقوم به، أعرف الخطوات، لكني لم أضطر إلى إنقاذ أحد بواسطته. حان الوقت لأجرب! لا أظن أن هذه المرأة قادرة على فعل أي شيء مفيد الآن، كما لم أمنح أحداً آخر من حولي. أخذت الولد من بين ذراعيها. لم يكن قد تجاوز الرابعة أو الخامسة من عمره بعدُ، صغير الحجم.

جعلته يستلقي على ظهره ورفعت رأسه إلى الوراء وبدأت عملية التنفس بالفم. شعرت بصدره يتحرك بينما أنفخ في فمه. حتى فوجئت بالمرأة تضربني.

«قتلتِ طفلي!» راحت تصرخ.

«قتلته!».

التفتُّ إليها وأمسكت بقبضتيها.

«توقفي!» صرخت بأعلى صوت سلطوي عندي. «ما زال حيّاً» أكان كذلك؟ لم أكن متأكدة. يا رب، ليكن حيّاً. «الولد حي. الآن اتركيني أساعده». دفعتها بعيداً عني، كانت أصغر حجماً مني، ثم عدت لأركز مع ابنها. بين الشهيق والزفير، لمحتها تحملق إليّ بلا تعابير، لتسقط راكعة بجانبي تبكي.

بعد لحظات، بدأ الولد بالتنفس، يشهق ويكحّ ويختنق ويتقيأ وينادي على أمه. إن كان بإمكانه فعل كل هذا، فإنه على قيد الحياة. سقطتُ على الأرض مستلقية التقط أنفاسي بينما يدور رأسي. لقد فعلتُها!

«حيٌّ حي!» صاحت المرأة. أمسكت بالولد وكادت تخنقه: «آه، روفوس حبيبي...».

روفوس. من يودي طفلاً لطيف الشكل باسم قبيح كهذا؟

حينما عرف روفوس أن أمه هي من تحمله، تمسّك بها صارخاً بأعلى صوته. يبدو أن صوته أيضاً على ما يرام. فجأة ظهر صوت آخر.

«ما الذي يحدث هنا؟» صوت رجل غاضب وآمر.

التفتُّ نحوه لأجد نفسي أمام ماسورة بندقية لم أرَ أطول منها في حياتي. سمعت صوت الزناد الحديدي الذي جمدني في مكاني، سيقتلني لأني أنقذت حياة هذا الطفل! ها أنا على وشك الموت.

حاولت إيقافه بصرخة لكن صوتي خانني. شعرت بالدوار والغثيان يداهمانني ثانية. لم يعد بإمكاني رؤية أي شيء أمامي، أو حتى تمييز وجه الرجل خلف بندقيته. سمعت صوت المرأة حادّاً، لكن الدوار غيَّبني بعيداً عنها، لم يعد من الممكن التقاط أيّ من كلماتها.

ثم اختفوا، الرجل، والمرأة، والطفل، والبندقية، كلهم اختفوا.

مقتطف من رواية «نسَب» للروائية الأميركية أوكتافيا بتلر (1947 ـ 2006) صدرت أخيراً عن «منشورات تكوين» الكويت - العراق. تُعتبر بتلر من أشهر روائيي الخيال العلمي مزجت هذا النوع الأدبي مع الروحانيات والمعتقدات الأفروأميركية، وآمنت بأنّ الإنسانية يحكمها نوع من التفكير الهرمي الذي يودي حتماً إلى رفض الآخر وغياب التسامح والعنف، وحتى انقراض الجنس البشري في حالاته القصوى.

أقصوصة

الممرّ

فانيسا ليم ـ «حديقة سرية» (أكريليك، قلم رصاص، باستيل وفحم على ورق، 2018)

محمد الشركي *

حين تلعب يكون عمرها سبع سنوات. وحين يهدها التعب يصير عمرها سبعين سنة. وحين تغني يمتد عمرها إلى سبعة آلاف سنة. أما عندما تنام فيصير عمرها بنفس طول عمر الأرض. صغيرة وكبيرة في الوقت نفسه. طفلة ومسنّة وأمّ أمّها وأبيها وخادمة وأميرة. وحيثما لا يرى الآخرون سوى صخور، تسمع هي حنان المياه في جوف الصخور. ولذلك دفعها إحساسها ذات مساء إلى عصيان قانون القبيلة القاضي بعدم الاقتراب من السور المحرّم الواقع في تخوم البساتين والمدافن. هكذا دنت من تعريشات اللبلاب المدلاة على السور، وسارت بمحاذاتها حتى رأت ممراً معتماً مفتوحاً في السور العالي، فدلفت فيه وغابت داخله بضع دقائق. ولما عادت وجدت البساتين تحولت إلى عمارات والمدافن صارت ملاعب. وتحول طريق عودتها إلى بيتها إلى متاهات من الطرق. وصارت القبيلة قبائل وعصبيات. وفكرت بأن عليها أن تعود إلى عمر سبع سنوات لتستعيد خريطة وجودها. وفكرت بأنها لن تخبر سوى من ستحبه بسر الممر المفتوح في السور. سيكون ذلك الممر المفضي إلى الآخرة والعائد منها هو معنى الحب في قلبها البرّيّ.

* الرباط/ المغرب

قصائد

أعِد الوِلاعة إلى جيبكَ

عبد الرحيم الخصار *

1- قُبلة مستعادة

أنا في الواقع
رجلٌ يدفع أمامه عربةَ جوز
وفي الأسطورة الرجلُ الذي يصنع الضّاعقة.
يتقارع الليلُ والنهارُ في بيتي كأسيهما
ويقرضان ساعاتي،
وأنا أحلم بقدم رطبةٍ وخلخال
بقُبلةٍ مستعادة
بيوم طويل في الجبل
بحقيبة منسيةٍ في مقصورة قطار
بضوءٍ رفّ في نافذة قديمة
بوجه مرّق من درب طفولتي
بيدٍ سحبت يدي إلى شبابها ثُمّ إلى النّسيان.

2- تختنق الكلمات في فمي

بقلادةٍ من نحاس
وجِيدٍ مُمرّق عند الرّكبتين
أجلسُ على الرصيف
قُبالةَ كنيسةٍ قديمة
أغمض عينيّ وأغني
أغني وحيداً
ويرتدّ صوتي في الخراب.
أعزف إلى أن تتجرّح أصابعي
وتختنق الكلمات في فمي.
إلى أن تفزع طيورٌ في هدأتها
وتدنو مني الكلابُ والهررة
وترنو إليّ كما لو أنّنا أشقّاء.
إلى أن يرتجف الحبّ القديمُ
في قميصي
ويبتلّ معطفي بالدّموع.
حينها سأملأ حنينيَ
أحضن القيثار بحرارة أب
ثمّ أختفي بين الدّروب.

3- يُسقونها حياة

كأنها رسالة قصيرةٌ
تركها عاشقٌ متعجّلٌ بين دفّتيْ كتاب
كأنها غيمة عبرت ليلَ القرية
ولا أحد رآها.
كأنها ارتعاشةُ ضوءٍ في فنار
كأنها تلويحةُ جنديّ يموت
لرفاقه الهاربين.
كأنها ضربةُ فأسٍ بيد حطّاب
كأنها صفعةٌ على خدّ طفل
كأنها موجة
كأنها برق
هذه التنهيدةُ
التي يسمّونها حياة.

4- مطر قديم

[إلى عبد الإله الصالحي]
أشبكُ أصابعي على شكل قفص
وأضع حياتي هناك.
في سيتي لايتس قبل تسع سنوات
جلستُ على كرسيّ في غرفة الشعر
فتحت كتاباً لبوب كوفمان
الزّنجي الذي ألقى قنبلةً
في غابات كاليفورنيا ومضى.
من صفحة في الكتاب
لوّح لي بيدٍ متعبة
سحب كرسيّاً كان بجانبي
وضع قدماً على قدم
وجلس يشمّس الحنين.
-أين مطرك القديم يا بوب كوفمان؟
لمَ أنتَ صامت وحائر
وتخفي وجهك في معطف؟
- إنني أسمع الجاز
وأفكر في جون كنيدي.
المطر غزير في بيتي
لذلك أسير في الشارع بلا مظلّة.

5- كرسي في شارع مهجور

أجلسُ الآن قُبالةَ صفّ طويل
من السّاعات المُستعادة.
الصفّتُ نديمي
والقلقُ كرسيّ من الإسمنت
في شارعٍ مهجور.

6- رمال يا رمال

هل ناديتكِ يوماً أنا الحادي الذي
بلا قافلة؟
إنه ناي قديم بين يدي راعٍ يائس
هو الذي يحفر هذا الأخدود.

رمال يا رمال
وصلتُ إليك هادئاً
فأنا والألم
كنا نرقص التانغو في بيتي
لكني تعبت فصفقت الباب.
اجترّت جسراً تهاوى خلفي
وربتُّ على رأس الوحش النائم في السهوب.

لا بأس أيها الألم
سأزرعك في أرض تعبر فوقها الغيوم
لتعلو مثل شجرة.
أما أنا فهادئ على الدوام
أقود أيامي إلى ظلها
وأمدح الكهف.
نحيبي غناء
وابتسامتي صليب.

رمال يا رمال
إني أنتظر أن تغرب شمس
أو تهب ريح وتخفيني تحت كثبانك.
أنا الرجل الذي يمسك بالمدية
كما لو أنه يمسك بحبل نجاة.

7- لا بأس أيتها الكلمات

لا بأسَ أيتها الكلمات
لكِ أن تعصفي بهؤلاء الحمقى
الذين طال بهم الليل في معابدك.
لك أن تواري شمسا في جارور.

* آسفي/المغرب

محمد المليجي ـ بدون عنوان (اصباغ نباتية على خشب، 1979)

سيرة

جون مينارد كينز... فيلسوف الحرب والسلام وآخر مفكّري التنوير

مصطفى شلش

صدر أخيراً عن «راندوم هاوس» البريطانية العريقة، كتاب The Price of Peace: Money، Democracy، and the Life of John Maynard Keynes للكاتب زاكاري كارتر، وهو مراسل HuffPost، حيث يغطي أعمال الكونغرس والبيت الأبيض والسياسة الاقتصادية. يندرج العمل ضمن كتب السيَر التي تتناول حياة جون مينارد كينز (1883–1946) أحد أبرز رجال الاقتصاد في التاريخ، لكنّ كارتر حاول أن يشير إلى ما وصفه بالإرث المفقود لأحد أروع عقول زماننا. فكينز له مجموعة من الأفكار حول الديمقراطية والمال والحياة الخيرة التي يمكن أن تسهم في تحسين البيئة العالمية الحالية التي تتميّز بعدم المساواة وسياسات القوة والاستقطاب.

منذ المدرسة الداخلية، كان مينارد، لا يُظهر اهتماماً كبيراً بالحياة العاطفية. لكن فجأة في سن الثامنة والثلاثين، وقع في حبّ نجمة الباليه الروسية ليديا لوبوكوفا. كتب إلى صديقه ليتون ستراشي: «أنا غارق في حبي - شعور مروع - وبالكاد يمكنني التحدث عنه». بالنسبة إلى المقربين من ماينارد في منطقة بلومزبري المثقفة في لندن، لم يكن لهذا الافتتان أيّ معنى. فقط شعرت فرجينيا وولف بالذهول من فكرة أن ماينارد أصبح عاشقاً. فلسنوات فضّل العلاقات المتقطّعة.

لم يكن الجنس والعاطفة سوى جزء من الصدمة. كان مينارد رجل دولة، اقتصادياً مرموقاً ومسؤولاً سابقاً في وزارة الخزانة. نال شهرة كبيرة بين طبقة المصرفيين في مدينة لندن والأرستقراطيين الذين تابعوا عمله على صفحات الأخبار المالية. لم يصدق هؤلاء آذانهم عندما سمعوا أن كينز العظيم قد وقع في الحب، على حدّ تعبير إيرل. كانت راقصة الباليه الروسية ليديا لوبوكوفا من خارج عالم مينارد. ابنة طبقة دُنيا نُظر لها باحتقار، وقد نقدت فانيسا بيل الرسامة البريطانية، وهي شقيقة الكاتبة فرجينيا وولف سلوكيات راقصة الباليه، وخصوصاً في تجاذبها وحديثها مع الخدم في المنزل.

لكن ليديا أذهلت مينارد. فقد كان ذكاؤها حاداً مثل أطرافها. شاهدها وهي تؤدّي رقصة في باليه «الجمال النائم» لتشايكوفسكي. وكان قد زارها خلف الكواليس، ودعاها لتناول الغداء، وبقي في ساعات الصباح الصغيرة يضحك على نكاتها، واستأجر لها شقة في نفس ميدان لندن حيث شقته... كل ذلك في غضون أسابيع قليلة.

بالنسبة لماينارد، لم تكن مجرد «راقصة» ولكن فنانة، تتقن المعجم الثقافي الرفيع الذي يربط بين سانت بطرسبرغ وباريس ولندن ونيويورك. على الرغم من أن رحلة قصيرة إلى الهند مع وزير في الحكومة البريطانية أتاحت له فرصة لتهدئة مشاعره الجارفة، لكن مينارد وجد نفسه غير قادر على الانفصال. وألغى فكرة سفره مرة أخرى وأخذ ليديا لمشاهدة معالم المدينة حول لندن في سيارة مستأجرة بدلاً من ذلك. وقد اعترف: «أنا في محنة سيئة للغاية، تبدو لي مثالية في كل شيء».

بالنسبة إلى ماينارد، كانت راقصة الباليه الروسية الساحرة أكثر من مجرّد فنانة موهوبة ثرثارة. كانت تجسيداً حيّاً لمثالية اعتقد أنه فقدها عند اندلاع الحرب العظمى. كانت الحرب قد حطمت أيّ وهم إجتماعي. ويبدو أنّ تداعياته المريرة الممزقة تُظهر أن السنوات الذهبية لشباب مينارد كانت أكثر بقليل من عمليات تحويل تافهة للطبقة المخملية البريطانية في ذروة الهيمنة الاستعمارية البريطانية. الآن، وللمرة الأولى منذ سنوات، قدّمت ليديا أملاً لمينارد - ليس التفاؤل الاحتمالي المجرد الذي يحمله عادةً، لكن أملاً قوياً شبه ديني - بأن الحلم الذي عاشه عندما كان شاباً يمكن أن يتحقّق مرة أخرى. بغض النظر عن الثأر الذي قد يسعى إليه قادة أوروبا، فإن الحبّ الجامح المستحيل بين ليديا ومينارد كان دليلاً على أن العالم كان مليئاً بالإمكانيات الجميلة. تحت الإمبراطوريات القبيحة والذليلة للمال والسياسة، كانت توجد إمبراطورية أعمق وأكثر قوة من الأفكار التي تنتظر توحيد البشرية عبر الحدود واللغات.

كانت حياة جون ماينارد كينز مليئة بنقاط التحول. قلّة من مواطني القرن العشرين أعادوا اكتشاف أنفسهم بالانتظام الذي فعله كينز على مدار ما يقرب من ثلاثة وستين عاماً. لكن الازدهار غير المتوقّع لعلاقته الرومانسية مع ليديا لوبوكوفا، كان بمثابة المنعطف الحاسم الذي جعله قوةً في تاريخ الأفكار. عندما انفصل كينز أخيراً عن ليديا لبضعة أسابيع في نيسان (أبريل) وأيار (مايو) من عام 1922، كان من المقرّر أن يبدأ في مشروع جديد، كان بدوره مفاجئاً مثل اندلاع حبه، وسيجعله أهم اقتصاديّ في زمانه.

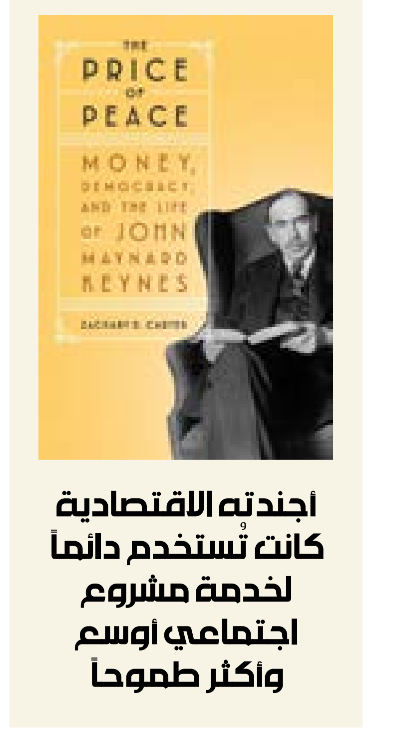

أجندته الاقتصادية كانت تُستخدم دائماً لخدمة مشروع اجتماعي أوسع وأكثر طموحاً

في ربيع 1922، كان كينز متوجّهاً إلى إيطاليا لحضور مؤتمر جنوة الاقتصادي والمالي الذي ضم 34 دولة، ويستعدّ لكتابة أول عمل عظيم له في النظرية الاقتصادية. وكان يأمل في ترميم مكانته كمستشار لرجال النفوذ في أوروبا. لقد كانت تجربة مهنيّة وُلدت من الضرورة. فقبل أقل من ثلاث سنوات، طُرد كينز من قصر «وايت هول» (مقر حُكم ملوك بريطانيا) ومِن البرلمان بسبب نشره مواقف مُعارضة لمعاهدة فرساي، رافضاً شروط السلام في نهاية الحرب العظمى. ومشيراً إلى ما أسماه «العواقب الاقتصادية للسلام» (وهو اسم كتاب نشره في 1919) متوقّعاً أن الترتيبات المالية للمعاهدة ستدفع أوروبا إلى الخراب الاقتصادي والديكتاتورية والحرب، وصدقت آراؤه لاحقاً باندلاع الحرب العالمية الثانية.

وقبل بدء الحرب العالمية الثانية، تحوّلت هذه الرواية القاتمة المعنونة بـ«العواقب الاقتصادية للسلام» إلى أكثر الكتب مبيعاً على مستوى العالم، حيث قفزت بمينارد إلى مكانة النبلاء الأوروبيين ونجوم السينما الأميركية. على مدى السنوات الثلاث التي تلت ذلك، ارتفعت سمعته إلى مستويات أعلى حيث بدأت كتاباته تتّخذ هالة من النبوءة: فالبطالة القاسية غذّت الإضرابات العمالية في بريطانيا، وعمّت أعمال الشغب في جميع أنحاء إيطاليا، وبدأت موجة من الاغتيالات السياسية في ألمانيا.

لم ينتهِ عمل مينارد عندما حزم الدبلوماسيون حقائبهم وعادوا إلى أركانهم المختلفة في أوروبا. بعد لمّ شمله مع ليديا في لندن، جمع ملاحظاته التي خرج بها من مؤتمر جنوة، وعكف على كتابة أوّل عمل رئيسي له في النظرية الاقتصادية. نُشر في كانون الأول (ديسمبر) 1923 تحت عنوان: «بحث في الإصلاح النقدي». ومثل سابقه، كان عنواناً تقنياً مخادعاً مليئاً بالأفكار الصادمة. فقد هاجم السياسات الهادفة لاستعادة معيار الذهب، ورأى مينارد أنه يمكن تحقيق استقرار الأسعار من خلال السياسة النقدية وحدها. كما نظر للنقود بمعناها الواسع، وكانت السياسة السليمة تقتضي مراقبة عملية خلق الائتمان والسيطرة عليها والسماح بخلق العملة بناءً على ذلك. كما فضل مينارد الإدارة التفويضية، رافضاً وضع قاعدة خاصة بالمعروض من النقود باعتبارها غير مناسبة للسيطرة على دورة الائتمان.

كان نقض مينارد محاولة لهدم ما اعتبره حاجزاً أمام السلام والازدهار، أو ما وصفه التخلص من «بقايا البربرية» ومواكبة روح العصر ومتطلباته. فكانت الضرورة تُحتّم التخلص مِن المبادئ المقدسة لرأسمالية القرن التاسع عشر، لكن لم يتوقع أحد أن العالم على وشك التغيير، عبر حرب همجية.

اليوم، يُذكر مينارد باعتباره خبيراً اقتصادياً لأنه من خلال مجال الاقتصاد كان لأفكاره تأثيرها الأكبر. يتم تعليم طلاب الجامعات أنه حثّ الحكومات على قبول عجز الميزانية في حالة الركود وإنفاق الأموال عندما لا يستطيع القطاع الخاص ذلك. لكن أجندته الاقتصادية كانت تُستخدم دائماً لخدمة مشروع اجتماعي أوسع وأكثر طموحاً. كان مينارد فيلسوف الحرب والسلام، وآخر مفكّري التنوير الذين اتُبعوا النظرية السياسية والاقتصاد والأخلاق كتصميم موحّد. لم يكن مشروعه الرئيس فرض الضرائب أو الإنفاق الحكومي، بل كان هدف مشروع الحفاظ على ما أسماه «الحضارة» أي حماية البيئة الثقافية الدولية التي ربطت بين رجل الخزانة البريطانية وراقصة الباليه الروسية. بعد عقد من مؤتمر جنوة، عندما سأله أحد المراسلين عما إذا كان العالم قد شهد شيئاً مثل الكساد الكبير الذي بدأ يتكشف، أجاب مينارد بصدق تام: «نعم. كانت تسمى العصور المظلمة، واستمرت 400 عام».

على عكس زواجه النهائي من ليديا، كانت العلاقة بين مينارد والولايات المتحدة دائماً صعبة وغير سعيدة. لم يكن لدى قادة الدولة المهيمنة الناشئة اهتمام كبير بالأبعاد المناهضة للإمبريالية للفكر الكينزي عندما قاموا بتكييف النظرية العامة لمهمة إقامة نظام عالمي جديد حول القوة الأميركية. كان الاقتصاديون الأميركيون المؤثرون، أكثر من أقرانهم حريصين على رؤية عملهم على أنه محايد سياسياً، علماً، رياضياً، بعيداً عن الاجترار التأملي لفلاسفة عصر التنوير الذي يبجّلهم مينارد.

كان مينارد عبارة عن مجموعة متشابكة من المفارقات: خادم مخلص للإمبراطورية البريطانية، شجب الإمبريالية، من دعاة السلام ساعد في تمويل حربين عالميتين. أممي آمن بضرورة الدولة القومية الحديثة، خبير اقتصادي تحدّى أسس الاقتصاد. لكنه في الأخير وكجزء لا يتجزأ من كلّ هذه التناقضات الظاهرة، كينز هو رؤية متماسكة لحرية الإنسان والخلاص السياسي. مات كينز قبل أن يتمكن من تنظيم هذه الأفكار في بيان فلسفي فريد ونهائي، حتى إنّ النظرية العامة المنشورة له شكلت فقط جزءاً واحداً من حياة كينز الذاخرة.

لمحات

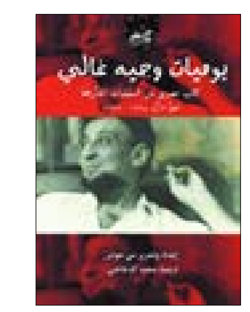

وجيه غالي

انتهت حياة وجيه غالي القصيرة بانتحاره في لندن سنة 1969. غير أن تساؤلات كثيرة ظلّت تسوّر محطّات من حياته منها اسمه الحقيقي وتاريخ ميلاده، بينما لم يترك إلّا رواية واحدة هي «بيرة في نادي البلياردو» ومجموعة من القصص القصيرة. قبل سنوات، عُثر على يومياته ورسائله لدى صديقته الكاتبة ديانا آثيل، سيتم نشرها عن «دار الكتب خان» قريباً، بعنوان «يوميات وجيه غالي: كاتب مصري من الستينيات المتأرجحة» (تحرير مي حواس، وترجمة محمد الدخاخني). من خلال مجلّدَين، تُغطي اليوميات فترات من حياته، وأسفاره بين برلين ولندن، وعلاقاته العاطفية، وتقلّباته المزاجية وتفاصيل أخرى.

فهمي جدعان

«طائر التم – حكايات جنى الخطى والأيام» (الدار الأهلية للنشر والتوزيع) هو عنوان السيرة الذاتية للمفكّر والأكاديمي الفلسطيني فهمي الجدعان. إنها سيرة تتجاوز المذكّرات الفردية لصاحبها، إذ أنّها تنطلق من تواريخ جماعية مفصليّة أبرزها النكبة، وترافق مجموعة من التحولات العربية التي يرصدها المؤلّف من خلال يومياته. تمرّ السيرة على أزمان وأمكنة عدّة منها المراكز العلميّة والجامعات العربية، ووجوه رافقته في حياته، ضمن أسلوب يجمع الأدبي والفلسفي، في قالب حكائيّ، يسرد من خلاله أياماً وأحداثاً ضمن متواليات حكائية.

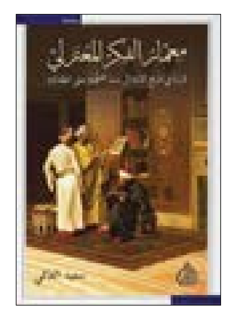

سعيد الغانمي

يتوقّف سعيد الغانمي عند كلّ مراحل وانعطافات الفكر المعتزلي عبر التاريخ في مؤلّفه «معمار الفكر المعتزلي قراءة في تاريخ الاعتزال منذ تفتُّحِهِ حتى انطفائهِ» الذي صدر أخيراً عن «دار الرافدين». وبما أن حركة الاعتزال تمتدُّ على مساحةٍ زمنيَّة تصل إلى ستَّة قرون، فإنّ الغانمي يقدِّم خلاصةً لأفكار أهمِّ أعلام المعتزلة من بينهم الجاحظ والناشئ الأكبر وأبي القاسم الكعبيِّ، وصولاً إلى نسخة القاضي عبد الجبّار. يتفرّغ الباحث في الفصل الأخير لعرض الخيبة المأساويَّة التي عاشها فكر ابن الوليد البغداديِّ، كما ينتهي مع آخر معتزليٍّ معروف أي ابن أبي الحديد البغداديُّ.

كوس كوستماير

يتبع الروائي الأميركي كوس كوستماير أسلوباً سردياً مبتكراً في روايته «فارغو بيرنز» (دار خطوط وظلال – ترجمة أسامة إسبر) التي صدرت بالإنكليزية هذا العام. يروي كوستماير قصّة انهيار الحلم الأميركي، واستخدام الدين كأداة لقمع المواطنين السود وتبرير العبودية. يوغل كوستماير أيضاً بحروب أميركا الخارجية وذلك من خلال الحياة المضطربة لبطله فارغو بيرنز. الشاب الأميركي القادم من ولاية ميسيسيبي، يُصاب بالجنون الذي يدفعه إلى الاعتقاد بأنه تحوّل إلى كلب، قبل وقوعه في حبّ عشيقة قاتل محترف. تتوالى الأحداث ضمن أجواء عنيفة بين الجنون والجنس والكحول والمخدرات.

كريستيان ماكميلان

بالتزامن مع استمرار جهود العالم للتصدّي لوباء كورونا، يستعيد كريستيان ماكميلان في مؤلّفه «الجوائح» سبعاً من أكثر الجوائح انتشاراً في تاريخ البشريّة. المؤلّف الذي صدر ضمن سلسلة مقدّمات قصيرة (مشروع كلمة – ترجمة حسن غزلان)، يتضمّن شرحاً لخصائص جوائح الملاريا والجدري والإنفلوانزا والإيدز والكوليرا. فضلاً عن ماهيّة كلٍّ من هذه الجوائح، يقدّم ماكميلان معلومات تاريخية عن السياسات الحكومية المتّبعة للتعامل معها منها قوانين منع السفر، وإجراءات التباعد، فيما يُرفقها بالأبحاث والجهود الطبيّة والعلمية والمخبريّة والتطوّرات الساعية إلى السيطرة على هذه الجوائح.

أحمد السعدي

«الرقابة الشاملة: نشأة السياسات الإسرائيلية في إدارة السكان ومراقبتهم والسيطرة السياسية تجاه الفلسطينيين» (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات–ترجمة الحارث النبهان) نتاج سنوات طويلة من البحث قام بها أحمد السعدي من أجل الحصول على أرشيفات لم تُنشر من قبل. من خلالها، يحاول السعدي وصف الطرق والأساليب العنيفة التي استخدمها الاحتلال الإسرائيلي لحكم الفلسطينيين من النكبة حتى نهاية الحكم العسكري (1966). إذ أنه يتوقّف عند الإطار القانوني، ومقاربات السلطة، وسبل تطبيق رقابة الدولة لضبط السكان، التي فرضها الاحتلال على التعليم وجوانب أخرى من الحياة.

دراسة

عماد الورداني: حضور الجسد في الرواية العربية

خليل صويلح

يفترق عماد الورداني في كتابه «تمثيل الجسد في الرواية العربية» (فاصلة) عن الدراسات المماثلة الأخرى في هذا السياق، إذ لطالما اعتنى النقد بقراءة الجسد سردياً بوصفه موضوعاً خارجياً قابلاً للتحديد عبر ربطه بالدلالة التي تُحيل إليه أو التقنيات السردية التي يتحقّق بها، فيما تلتفت هذه القراءة إلى «ربط الجسد بما هو موضوع خارجي بالوعي المجسَّد»، معتبراً أن الجسد بنية رمزية مركّبة تتمثل بما هي صيرورة مشروطة بتعيينات تنهض على «الطارئ والمآل»، وعلى «الصلابة والاندثار». وتكتمل هذه التعيينات عبر وسائط جسدية تتمثّل في «اللغة، والذاكرة، والحواس» بالارتحال من بعده الوصفي التأثيثي إلى البعد المعرفي الوظيفي.

ويشير الباحث المغربي إلى أن مرجعيات الجسد في الرواية هي سياسية وتاريخية وثقافية. هكذا يضيء أشكالاً من عذابات الجسد تاريخياً، سواءً كان فردياً أو جمعياً. في قراءة الجسد السياسي، يحيل إلى ثنائية الاعتقال والحرية، وتالياً الاختطاف والانعتاق، ثم الاغتصاب، والتمرّد، منوّهاً إلى «جسد معلن يواجه جسداً سرّياً»، وصولاً إلى طمسه وتغييبه، فيما يتمثّل الجسد الثقافي بنظرة الجسد الأنثوي إلى جسديته، ونظرة الجسد الذكوري إلى جسديته، ثم التقابل بينهما «الدونية/ والخصاء الرمزي» كمحصلة للفشل في إحداث المطابقة بين الجسد الذكوري والعالم. وهو ما جعله ينتقل من «الصلابة إلى التلاشي»، ويتمثّل الجسد التاريخي بثلاثية «الهيمنة والمقاومة والتلاشي». مروحة واسعة من النصوص تمتد من إبراهيم المازني (إبراهيم الكاتب)، مروراً بنجيب محفوظ (بداية ونهاية)، ومحمد برادة (حيوات متجاورة)، والطيب صالح (موسم الهجرة إلى الشمال)، وعلوية صبح (دنيا)، وزهور كرام (جسد ومدينة)، وعفاف البطاينة (خارج الجسد)، بالإضافة إلى نصوص أخرى تغلق الدائرة على تنويعات الجسد تخييلياً.

يحضر الجسد السياسي المعذّب أولاً، والمتمرّد ثانياً، بكامل طبقاته، في روايتَي «معذبتي» لبنسالم حميش، و«الطلياني» لشكري المبخوت. في الرواية الثانية خصوصاً، سنقع على مرادفات متعدّدة للعنف مثل الاغتصاب والألم واللذّة تبعاً للمواقف التي تواجهها شخصيات الرواية: «يتحقّق تمرد الجسد الذكوري عبر النقص والبحث عن الاكتمال، وتحويل فائض اللذة إلى فائض الشقاء»، فيما يتمرّد الجسد الأنثوي بإعلان القطيعة مع التفكير الذكوري الذي سعى إلى فرض وصايته عليه. ويشير صاحب «احتراق جسدين» إلى أن الرواية الواقعية تكاد تخلو من حدّة الانفعالات والعواطف، بالانفتاح على الخارج بإشكالاته وتحوّلاته، وهو ما جعل الجسد يتمثّل بوصفه جزءاً من وضعية اجتماعية ونفسية، بينما انتقلت الرواية الجديدة من «حجب الجسد إلى الكشف عنه في كليته»، والانتقال به من «الانفعال إلى الإدراك». في رواية «دنيا» لعلوية صبح، ينهض السرد على تشغيل الذاكرة وإخضاع الإدراك الحسّي للخبرة الجسدية، واستنفار الحواس، قبل أن تتحوّل البهجة والطمأنينة إلى حالة عجز وضعف، واللذّة إلى مرارة، والحنان إلى عنف، بتفكيك التطابق بين الجسد الأنثوي والجسد الذكوري منتهياً إلى «تحطيم المجال المشترك». من موقع آخر، تأتي رواية «جسد ومدينة» لزهور كرام كنموذج للاختلال بعد التطابق مع العالم، فتنتهي معظم شخصيات الرواية إلى أجساد محطّمة وخاسرة ومندحرة بسبب التشويش الخارجي عليها. في قراءة الوسيط اللغوي كرافعة لحضور الجسد، نتعرّف إلى جسدٍ شهواني، وآخر سلطوي، تبعاً لمسار اللغة التعيينية أو الاحتمالية القائمة على جسدية التقابل من جهة، وجسدية التردّد من جهةٍ ثانية. أما تمثيل الجسد باستثمار الذاكرة، فنجده في رواية «حيوات متجاورة» لمحمد برادة، إذ يشرّح أحوال الجسد الشهواني من اللذّة إلى الألم، باستثمار طرائق مختلفة تستدعي الاسترجاع والوعي القصدي والتركيب الأيقوني (من الصور إلى اللغة)، وصولاً إلى تمثيل الجسد السلطوي في النظام والعبث. وبخصوص الجسد الثقافي، تنطوي النظرة الذاتية إليه من فقدان الحرية في المقام الأول، وإذا بالجسد الأنثوي الموصوف بـ «الفتنة واللذة والرغبة»، يُحاصر بالأعراف التي جعلت منه عورة ينبغي إخفاؤها باللباس وحجبه عن الأنظار. نتتبع سرديات عفاف البطاينة في «خارج الجسد» كنموذج لحركة الجسد بين الفضاء المفتوح والفضاء المغلق. حرية الحركة والركض وضبط حركة الجسد وتكبيله إلى حدود شلله، وصولاً إلى السكون والصمت. وما أن يتمرّد على هذه الإكراهات المتوارثة، سوف يتعرّض للعقاب الذكوري في ثنائية المقاومة والعقاب. ويتحقق الوعي الذكوري لجسديته في علاقته بالجسدية الأنثوية عبر منظورات «الفحولة، والإخصاء، والتوازن». وفي باب آخر، يسعى الباحث إلى رصد التمثّل التاريخي للجسد في صيغته الفردية والجمعية بضبط تردّدات هذه الثنائية. هنا يميط اللثام عن شخصية غريتورد بيل في رواية «خاتون بغداد» لشاكر نوري، كصورة فردية لحضور الجسد الخاص في تحولاته من القوة إلى التلاشي: «إن تقهقر الجسد واندثار التماسك الداخلي، وفقدان السلطة، وغياب سند عاطفي، كلها محاور تعاضدت في ما بينها لتعيد تشكيل جسدية مس بيل عبر نقلها من وضع الصلابة إلى وضع الاندثار» يقول. وسوف تهيمن النظرة الاستشراقية على الجسد الجمعي من منظور متعالٍ حيال الآخر بوصفه جسداً متخلّفاً بالمقارنة مع الجسد الاستعماري، وفقاً لقراءة إدوارد سعيد للاستشراق، وهذا ما اشتغل عليه ناصر عراق في روايته «الأزبكية» برصد حملة بونابرت على مصر، واتكاء قائد الحملة على المدوّنة الاستشراقية في فهم طبيعة المجتمع المصري، وفرض هويته التنويرية بإرغام الجسد الجمعي على تبنّي أفكاره، والخضوع والانصياع لقرارات المؤسسة الاستعمارية، لكن هذا التبخيس للجسد الجمعي المصري انتهى إلى صراع بين طهارة الأول، ودنس الثاني، وصولاً إلى مقاومته.

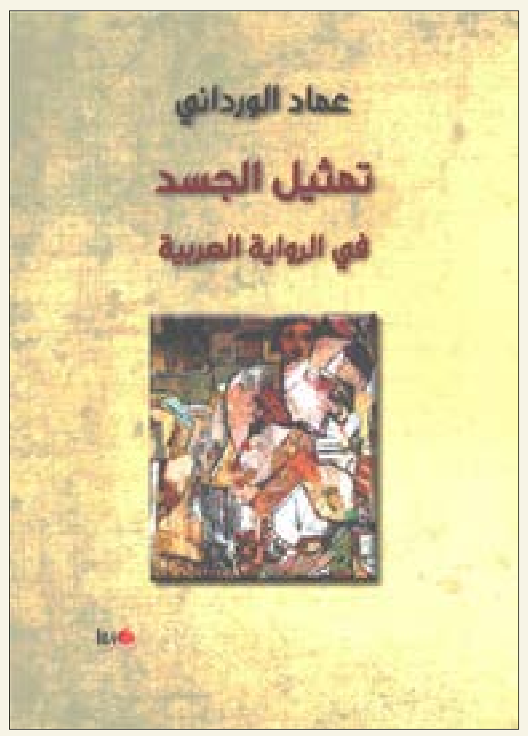

يحضر الجسد السياسي المعذّب أولاً، والمتمرّد ثانياً

رواية

زهير الهيتي: ليل العراق الطويل

تغريد عبد العال

يختار الروائي العراقي زهير الهيتي شخصية «زعفران» في روايته الجديدة «عش الجمر» (دار الساقي)، كي يطلّ على القضايا العراقية الراهنة في حبكة روائية لا تطمح للفرار من أزمات الفرد والمجتمع كأن لا مفرّ من ديستوبيا تجعل البطل يتورّط في دوّامة القتل والموت حتى يكون مصيره الفردي يشبه إلى حدّ كبير المصير الجماعي المتمثّل في النهب والقتل. و«عش الجمر» هي الرواية الثالثة للروائي بعد «الغبار الأمريكي» و«أيام التراب» (2017) التي دخلت في القائمة الطويلة لـ «الجائزة العالمية للرواية العربية. بوكر».

تأتي الرواية كصورة غير مختلفة عن وطن يحاول أن يقف على قدميه، لكنها بطريقة أخرى تحاول أن تقدّم تصوّراً موجزاً لما يحدث مع الإنسان العراقي كفرد داخل المجتمع من خلال سرد قصة زعفران المعلم الذي أُرسل إلى قرية كيش في الجنوب كي يدرّس في مدرسة «النصر المؤزر». في البداية، يشعر زعفران بأنّ في ذلك خلاصاً له من تقاليد العائلة الصّابئية، ولكنه يغرق في ما بعد في عشّ الجمر الذي يجده في القرية التي تختبئ آثاراً تاريخية تحتها. هناك يبدأ زعفران بالتورّط في قصص القرية وتقاليدها وأقاويلها وأيضاً في ترجمة مذكّرات المنقّب الفرنسي الذي يكتشف أنه قتل على يد ثابت ابن الشيخ جابر الذي سيقتل زعفران في النهاية ويورّطه في قصة مارية التي هربت وجاءه طيفها عند بداية دخوله إلى كيش، لأنه رفض التعاون معه في مذكرات الفرنسي جان ماري روشار. لا يبشر الكاتب هنا بخلاص ما، بل يعطي شخصياته فرصة التورّط أكثر حتى الغرق بدون إرادة أبداً.

يحدث ذلك في زمن التسعينات أثناء غزو العراق للكويت وهجوم الحلفاء على العراق، لكن هذا الإطار الزمني يوحي بأن كلّ هذه الأحداث السياسية ما هي إلّا جزء من ليل العراق الطويل الذي يتشابه مع أحداثه اليوم. إنه اختيار لزمن في الماضي لكنه تنويه بتشابه السّرديات، كأنه تبشير بأنّ ما يحدث اليوم هو ما حدث بالأمس وأنّ زعفران هو إنسان اليوم وربما الغد.

يطوّر الروائي السرد ليصل إلى منطقة النقد، حيث يفكّك الصراعات، فزعفران هو صابئي، كان يعامل كغريب في كيش. هي إذن أزمة الأقليات، وزعفران أيضاً باحث عن حريته، رغم علاقته بحليمة التي أشعرته بتلك الحرية الجنسية في الإطار الضيق للقرية، إلا أنها لم تزجه إلا بمشاكل أكبر، ربما لأن ذلك لا بدّ من أن يكون مشترطاً بالوعي الجماعي الذي لم يكن موجوداً في كيش. وهنا يدرك الروائي أن شخصياته ليست محتجزة تماماً، لكن حتى مظاهر التحرّر هي شكل آخر من الهرب الذي لن يمر بدون أن تشعر به الجماعة وتقرره، فها هو ثابت يضع قرط مارية في غرفة نومه ليورطه في ألسن الجماعة، وليقتص منه الشيخ جابر، جد مارية. وتبدو في هذه الحبكة الرغبة في نقد هذا التحرر الذي لا يمنح الفرد الخلاص، بل ربما يورطه أكثر في الجمر.

وهنا لا بدّ أن نذكر أجواء رواية «1984» لجورج أورويل، رغم الاختلاف الكبير بينهما. لكن في هذه الرواية أيضاً تتضح العلاقة بين الفرد المتمرد والسلطة، رغم أن جورج أورويل يبني المكان في المستقبل، لكن هناك علاقة بين وينستون سميث والأخ الأكبر، حيث الأخ الأكبر كان في السلطة يراقب وينستون سميث، ويحاول أن يقمعه ويسيطر عليه، رغم تمرّد وينستون. لذلك بدأ في طرح الأسئلة ومناقشتها وتدوينها في مذكراته. وهنا في «عش الجمر»، تتجلّى تلك العلاقة بين زعفران والشيخ جابر الذي يخافه الجميع، وابنه ثابت حيث يورطان زعفران في قصة نهب الآثار ويقتل ثابت زعفران في النهاية. إنها العلاقة إذن بين الفرد الحالم والمتمرد، وبين السّلطة المتمثّلة أيضاً بالعائلة والعشيرة ومنظومة التفكير القائمة. ففي الروايتين أيضاً، تتضح ازدواجية سردية الظالم وسردية المتمرد والحالم كأنهما سرديتان تتداخلان لنرى في النهاية أن السلطة العشائرية المتمثلة في الشيخ جابر ستنال منه.

يأتي حدث التخلّص من زعفران وقتله في النهاية موازياً لقتل من نوع آخر وهو قتل جماعي يتمثّل في هجوم الحلفاء على القرية ورمي الجثث في الطرقات. كأن هذا الموت الجماعي والظلم الذي يلاحق وطناً بأكمله لا يقلّ أهمية بل كما وضعه الروائي في الرواية، في مكان يسبق الحدث النهائي وهو رؤية جثة زعفران في الطرقات. إنه ظلم مضاعف جعله الروائي ينفصل ليرينا أنهما ظلمان بنفس الأهمية والحجم. كأن الإنسان العربي أصبح ضد نفسه أيضاً وصار عدواً لذاته. إذن النتيجة هي قتل الفرد وفكرته واختلافه.

ومن هنا، يتابع الروائي رحلته في استقراء الواقع العراقي، لكن من خلال وقائع متناقضة ومفارقة، على خلاف روايته السابقة «أيام التراب» التي يسرد من خلال قراءة سبع لوحات فنية واقع العراق اليوم، وهذا يحيلنا إلى سؤال عن فنية البناء الروائي الذي يعكس رؤية الكاتب التي ربما تسبق تصوّراته وتحليلاته لما يحدث. وفي «عش الجمر»، تشكل خيارات الكاتب للمكان والحوارات التي ينسجها مع الشخصيات كما اختياره للنهاية، رؤيته الفنية في سرد الواقع. رؤية تختار أن تتورّط داخله كي تلقي الضوء على خباياه ومكنوناته في رواية لها جمالياتها أيضاً.

ولذلك تأتي الرواية كديستوبيا خارجة من جمر المكان، لكنها تحرّض على قراءة المجتمع قراءة أخرى أعمق، وفي ذلك دعوة صادقة وصريحة لعدم التخفي وراء لغة مبشّرة لأن الحرية تكمن في قراءة أفضل لما يحدث وما سيحدث على حدّ سواء. كأن هذا ما نعيد اكتشافه بطريقة أفضل في الفنون، وكأننا نبحث عن رؤية أخرى لنطل على حقيقة أن ما يدور داخل الرواية هو ما يدور في الخارج لكن بأسماء أخرى وربما أمكنة أخرى، فتصبح كيش هي العراق كله، بل ربما صورة مصغّرة عن الحياة العربية التي كما يبدو لا ترغب الرواية العربية الراهنة من الإفلات من خيطها الأسود.

خيارات الكاتب للمكان وللنهاية تشكّل رؤيته الفنية في سرد الواقع

أوراق

قثّار ترعوزي عراقي

ترع عوز

زكريا محمد *

يخبرنا ياقوت الحموي عن معبد في إحدى قرى حرّان يدعى تَرْع عُوْز: «حرّان هي أول منازل الصابئة. ومن منازلهم قرية تابعة لحرّان تسمى «ترع عوز»، العينان مهملتان والواو ساكنة، قرية مشهورة بحران من بناء الصابئة. وكان الهيكل الذي بهذه القرية باسم الزهرة. ومعنى «ترعوز» بلغة الصابئة: باب الزهر. وأهل حران في زماننا يسمونها «ترعوز»، وينسبون إليها نوعاً من القثاء عذيا يزرعونه بها» (ياقوت الحموي، معجم البلدان). ويكتب الاسم أحياناً بعين واحدة: ترعوز. لكن هذا اختصار. دليل ذلك أن ياقوت حدثنا عن «عينين مهملتين» كي لا نقرأهما منقطتين، أي غائين.

وكما نرى، فقد أخبرنا أنه يُزرع في هذه القرية نوع من القثاء يزرعونه «عذيا». وتصحّف كلمة عذي في بعض الأحيان إلى «عذبا» بالباء. لكنه بالياء لا بالباء. والعذي هو الزرع البعلي، أي الذي لا يُروى بماء الينابيع: «العِدْيُ: الموضع يُنبت شتاءً وصيفاً من غير نَبع» (القاموس المحيط). أما ابن فارس، فيقول عن العذي: «هو الزرع لا يُسقى إلّا من ماء المطر، لبُعده من المياه» (ابن فارس، مقاييس اللغة). لكن الأكثر دقة هو ما ورد في لسان العرب وهو أن العذي هو البعل: «قيل: العِدْي من النَّخيل ما سَقَتْه السماءُ، والبَعْلُ ما شَرِبَ بعُرُوقه من عيون الأَرض من غير سَماءٍ ولا سَقْيٍ، وقيل: العِدْيُ البَعْلُ نَفْسُه» (لسان العرب). والبعل هو الذي ينمو «من غير سَماءٍ ولا سَقْيٍ»، أي من غير مطر ولا ريّ من قبل النّاس. بذا فليس لها القثاء علاقة بعيون الماء. والبعل لدينا هو الزراعة الصيفية التي تزرع في الربيع، وتنضج في الصيف. وهي زراعة غير مروية، أي لا تشرب من ماء الينابيع والآبار، كما أنها لا تشرب من ماء المطر إجمالاً. إن نزل مطر كان به، وإن لم ينزل عاشت الزراعة البعلية، فهو ينمو على رطوبة الأرض التي خلفها الشتاء وعلى الندى. لكن نسبة الزراعة إلى الإله «بعل» الفيضي نابعة من اعتقاد الناس أن هذه الزراعة تروى من فيض غير ظاهر للماء السفلي.

عليه، فالقثاء الترعوزي قثاء بعلي صيفي. وما زال هناك في العراق طراز من القثاء يحمل هذا الاسم. فهو في بغداد «طعروزي» أو «تعروزي»، وفي كربلاء «عطروزي»، وفي كركوك «ترعوزي»، وفي الموصل «تعغوز». وهناك من يحرف «ترع» إلى «طرح» ويكتفي بها لتسمية هذا القثاء.

وقد كفانا ياقوت أمر تفسير الاسم. فهو يعني: «باب الزهرة». بذا فترع تغني «باب» و«عوز» اسم آخر للإلهة الزهرة. ويؤيد تفسير ياقوت للقسم الأول من الاسم أن جذر «ترع» في العربية يعطي معنى الباب أو الفتحة: «التَّرْع: البَوّاب؛ عن ثعلب... وروى الأَزهري عن حماد بن سَلَمة أَنه قال: قرأْت في مصحف أُبيّ بن كعب: وتَرَعَتِ الأَبوابَ، قال: هو في معنى غَلَّقت الأَبواب.... وفي الصحاح: والتَّرْعةُ: أَفواه الجَداوِلِ، قال ابن بري: صوابه والتُّرَعُ جمع تُرْعة أَفواه الجداول. والتَّرْعة فَمُ الجَدْولِ يَنْفَجِر من النهر، والجمع كالجمع» (لسان العرب). ومن هذا الترعة في اللهجة المصرية لقناة الماء. بالتالي، يكون اسم الإلهة «عوز».

لكن ياقوت لم يخبرنا عن اشتقاق الاسم «عوز». أخبرنا فقط أنها إلهة حرّانية لها معبد مشهور، وأنها تعادل الإلهة «الزهرة» وتتماهى معها. فمن هي هذه الإلهة التي تدعى «عوز»، ومن أين اشتُقّ اسمها؟

إجابتي عن هذا السؤال هي أن «عوز» هي الإلهة العزى المكية بالنطق الحرّاني. بالتالي، فالاسم «ترع عوز» يعني: باب العزى. بذا فعلينا في ما يبدو أن ننطق الاسم بضمة (عُزّ) لا بواو (عوز). أي أننا مع «ترع عُزّ». يؤيد هذا أن اسم العزى المكية ورد بصيغة «عزّ» في رجز إسلامي قاله خالد بن الوليد حين هدم معبد العزى:

يا عُزّ كفرانك لا سبحانك

> الحرانيون كانوا يعتقدون أن ديانة مكة الجاهلية هي ديانة الصابئة ذاتها

إني رأيت الله قد أهانك

وهذه الصيغة هي الحرانية ذاتها. ولأن ياقوت لم ينتبه لاشتقاق الاسم، فلم يربطها بالعزى، بل أخبرنا فقط عن تماهي «عوز، عز» مع الزهرة. لكن لدينا نصّ للبيروني يوضح أن الحرانيين كانوا يساوون بين «عزى» مكة والزهرة: «ويذكرون (أي الصابئة الحرانية) أن الكعبة وأصنامها كانت لهم، وعبدتها كانوا من جملتهم، وأن اللات كان باسم زحل، والعزّى باسم الزهرة» (البيروني، الآثار الباقية من الأمم الخالية، ص 205). إذن، فـ «عوز، عز» الحرانية هي الزهرة، كما أن هي العزى المكية هي الزهرة، وهذا يوصل إلى أن «عز، عوز» الحرانية هي «العزى».

إذن، فمعبد ترع عوز هو معبد العزى، والثاء الترعوزي أخذ اسمه من اسم هذا المعبد المكرس لها. وهذا سرّ أن الحرانيين كانوا يعتقدون أن ديانة مكة الجاهلية هي ديانة الصابئة ذاتها.

وعلى أي حال، فنص البيروني أعلاه يحسم الجدل بشأن العزى المكية. فهو يوضح أنها نجمة الزهرة. وكنت قد تحدثت في وقت سابق عن نص البيروني هذا في سياق فرضيتي التي أدافع عنها منذ سنوات وهي أن الثالثوث المكي (اللات، العزى، مناة) ليس ثالوثاً مؤنثاً كما يظن، فالعنصر المؤنث الوحيد فيه هو «العزى». أما اللات ومناة فمذكران. وها هو مقتبس البيروني المهم يؤيد أطروحتي، ويخبرنا بأن اللات نظير زحل، أي أنه إله ذكر بلا شك.

وهكذا نكون قد عرفنا طبيعة اثنين من الثالوث المكي (اللات، العزى)، فالأول منهما يعادل زحل، والثاني يعادل الزهرة. وبهذا يتبقى لدينا أن نعرف من هو «مناة». وليس لدينا نصوص كي توضح لنا طبيعة مناة. لكن فرضيتي أنه إله مذكر، وأنه الوجه النقيض للإله اللات. ذلك أن الثالوث المكي ميزان كوني. فهو ميزان للفصول، يمثل فيه اللات الصيف، ومناة الشتاء. كما أنه ميزان اجتماعي جنسي: حيث للذكر مثل حظ الأنثيين، أي أن للذكر ضعف حظ الأنثى. فهناك ذكران في مقابل أنثى واحدة. لكن هذه الأنثى تملك وجهين في نهاية الأمر، وجه ربيعي ووجه خريفي. وحين تكون ربيعية تميل إلى اللات ويشكلان معاً نصف السنة، ونصف الكون. وحين تكون خريفية تميل إلى مناة، ويشكلان معاً نصف السنة الشتوي. وهكذا يعتدل العالم ويصير رباعياً من حيث الجوهر، لا ثلاثياً.

أما زحل، فقد كان معبوداً في مدينة «الحضر» العربية في شمال العراق قبل الإسلام أيضاً. وكان يدعى باسم «الساطيرون»، ويتبدى كملك بشري أسطوري. والحقيقة أنّ «ساطيرون» هو النطق العربي لاسم الإله زحل باللاتينية Saturn. بالتالي، يمكن القول إنّ أهل الحضر كانوا يعبدون اللات عملياً.

* شاعر فلسطيني